RAY
PUBLISHING & SCIENCE

تاريخ اليهود في حلب

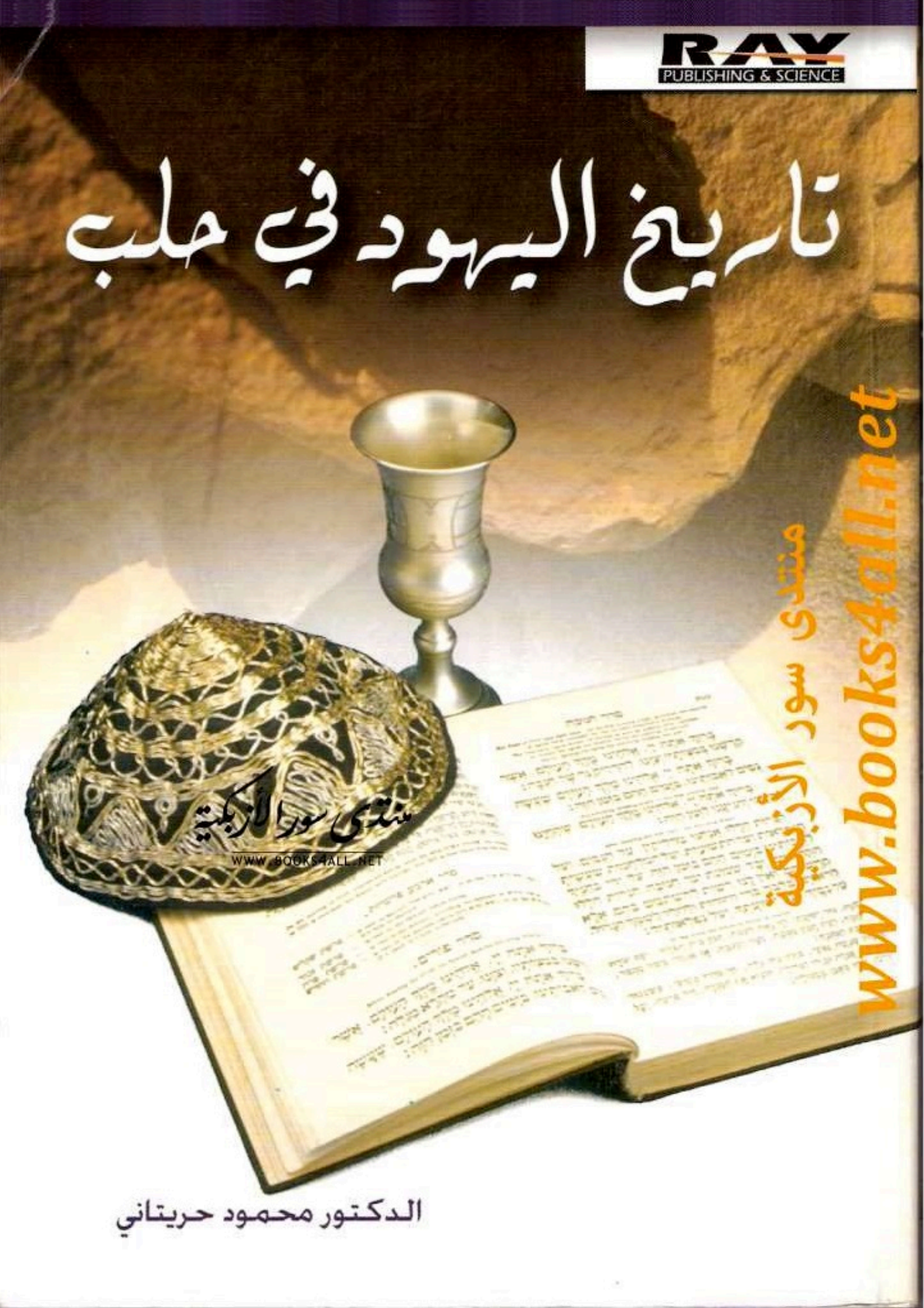

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET
www.books4all.net

الدكتور محمود حريتاني

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

https://www.facebook.com/books4all.net

تاريخ اليهود في حلب

■ الطبعه الأولى 2008

■ جميع الحقوق محفوظه

■ الناشر: سماع للنشر والعلوم

حاره الرباط 2 - المنطقه 12 - حي السنبل 2
تلفاكس : 00963 (21) 2643545
هاتف : 00963 (21) 2643546
سوريه ـ حلب
ص.ب 7875

لمزيد من المعلومات ولشراء كتب الدار مباشره على الإنترنت
يرجى زياره موقعنا http://www.raypub.com
البريد الإلكتروني للقراء: quality@raypub.com
info@raypub.com
البريد الإلكتروني للزبائن: sales@raypub.com
البريد الإلكتروني لدور النشر: orders@raypub.com

تاريخ اليهود في حلب

الدكتور محمود حريتاني

إلى حلب العريقة وأهلي منها

لماذا هذا الكتاب

في صيف عام 2007، وقع في يدي كتيِّب بقطع صغير، لم تصل صفحاته إلى المئة، وعلى صفحة الغلاف، اسم المؤلف السيد "ظافر فيكتور كالوس" وعنوان كبير: ((تاريخ اليهود في بلاد الشام، حلب - دمشق - بغداد)). لم أر اسماً لناشر، أو دار نشر أو مطبعة، حتى ولا تأريخاً للكتاب.

بدأ المؤلف مقدمته، فأعلم القارئ، أن صفحات كتابه، لا تضم تاريخاً، وإنما وصفاً لأحوال اليهود في سورية والعراق ...))

كما اعترف مؤلف الكتيب أنه ((جمع من ذاكرته حوادث اليهود وأحداثهم في مدينتي حلب ودمشق وبعضاً من بغداد، واستند إلى أقوال من اليهود أنفسهم...))، والواقع أن المؤلف لم يتحدث سوى عن اليهود في حلب وإشارة صغيرة لليهود الآخرين.

إن البحث في الطائفة اليهودية في بلاد الشام ووادي الرافدين لا يمكن أن توفّيه صفحات معدودة كما لا تستوعبه ذاكرة شخص. فلقد عُرفت اليهودية، منذ أول عهودها في بلاد الشام، واعتنقها في ذلك الوقت عدد كبير، ديناً كالأديان الأخرى، واستمرت قروناً عديدة إلى اليوم.

في العصور الحديثة، ولدى ظهور الحركات القومية بالتزامن مع الثورة الصناعية، ظهر الاهتمام بالعبرية، وبرزت الحركة الصهيونية الاستعمارية، وأخذت اليهودية أبعاداً جديدة؛ وقامت دولة إسرائيل التي اغتصبت

فلسطين، بذرائع كثيرة. فخلفت مآسٍ كثيرة لمنطقة بلاد الشام، والشرق الأدنى والأوسط.

إن الحديث الواسع عن اليهودية واليهود في العالم العربي، لا تكاد تستوعبه آلاف الصفحات. وقد تحدث مؤرخو العصور الحديثة وكتبوا الكثير؛ ولايمكن أن يرضى القارئ الباحث بمئة صفحة من القطع الصغير فقط. وإن كتب المصادر مليئة بالأخبار والوثائق فضلاً عن وثائق المحكمة الشرعية. كما أن كتباً مطولة تحدثت عن يهود بلاد الشام على امتداد تاريخ هذه المنطقة.

ويبقى السؤال، لماذا هذا الكتاب ؟! إنه لأسباب كثيرة، منها:

أولاً: كان لليهود أثر واضح في مدينة حلب منذ القرون الأولى لتاريخ بلاد الشام، كطائفة لها تعدادها وانتشارها وأوقافها...

ثانياً: لعب اليهود دوراً في العلاقات الاقتصادية الخارجية بين حلب والمدن الإيطالية الأولى: ليفورنيا، البندقية، جنوة بيزة وغيرها.

ثالثاً: دور اليهود التجاري والمالي في مدينة حلب، وهو واضح.

رابعاً: الحديث عن اليهود، هو حديث عن تاريخ هذه المدينة العريقة ومجتمعها الذي تعايش مع الطوائف ومختلف الأديان وتعامل معها في كل شؤون الحياة.

خامساً: للتوضيح وإعلام الأجيال الناشئة، أسلوب عيش الأجداد، والعلاقات الاجتماعية مع الطوائف سابقاً ولاحقاً، وأن هذه الطوائف على اختلاف مللها ونحلها هم عرب أولاً وأخيراً

يتكلمون العربية ويدينون بالعروبة، التي جمعتهم على صعيد إنساني واضح.

لهذه الأسباب بادرت إلى وضع هذا الكتاب، عساه يوضح أموراً خطرت لي وقد تخطر على بال المواطن الحلبي، فضلاً عن أن حديثي عن يهود حلب، هو حديث عن مدينة حلب القديمة، وبعض شوارعها الحديثة. عمرانياً ومعمارياً واقتصادياً واجتماعياً...

مقدمة

لدى دراستي "أسواق المدينة"[1] في حلب، تبين لي أنه في واحد من خانات مدينة حلب القديمة وُجد 52 مستأجراً يهودياً، فضلاً عن وجودهم في الأسواق المركزية، وفي خانات أخرى. وكان لهم نشاط كبير في الأعمال المالية والمصرفية فضلاً عن اهتمامهم بصناعة النسيج وتجارة الحرير؛ ولقد حلوا أحياناً محل البيوت التجارية التي أوجدها الأجانب في حلب منذ بداية القرن الثاني عشر، وحتى زوال الدولة العثمانية. وكما ذكر السيد كالوس، عدد اليهود في حلب فقدره بثلاثين ألفاً[2]، وفي سورية خمسين ألفاً، وفي العراق مئة ألف نسمة، وهي نسبة عالية. ولما كنت أهتم منذ عقود، وخلال عملي الرسمي، وتدريسي في جامعة حلب، وكلية العمارة ومعهد التراث العلمي العربي، بمدينة حلب القديمة تاريخاً وعمراناً وعمارةً، لهذا فكرت أن أعدّ كتاباً عن تاريخ اليهود في حلب.

لقد اعتمدت في كتابي هذا أموراً متعددة، منها:

أولاً: عدت إلى مصادر ومراجع كثيرة تحدثت عن مدينة حلب القديمة في نواحٍ متنوعة، وأخذت منها ما كتب عن هذه الطائفة. أو هذه الملّة كما كانت تدعى في فترات تاريخية مختلفة، أو هم أصحاب الذمة لدى المسلمين

---

[1] كتاب للمؤلف صدر في طبعتين أواخر عام 2007، تحت هذا العنوان.

[2] تاريخ اليهود في بلاد الشام (كما ورد في الأصل)، ظافر فكتور كالوس، ص 9.

ثانياً: عمدت إلى بحث ميداني، فقد زرت أكثر الأماكن التي عاشوا فيها، وتحدثت مع جيران عايشوهم فترة من الزمن، وصاهروهم...

ثالثاً: حاولت استقصاء أخبارهم اليومية لدى الذين عايشوهم، وهم من كبار السن، في جوار أو عمل أو تجارة أو غير ذلك.

وقد بدأت كتابي بكلمة تبين للقارئ لماذا أكتب هذا الكتاب، وهو للتاريخ فقط، ولتكون عندي الصورة الأكمل عن مدينة حلب القديمة في كل أبعادها، وها أنا ذا أقدم لهذا الكتاب؛ وهنا لابد أن أؤكد على جملة يقولها اليهود المهاجرون أو المهجَّرون في كل بقاع العالم، يذكرون فيها الأيام الطيبة التي عاشوها في المدينة التي ولدوا فيها وترعرعوا وعملوا، وكسبوا المعارف والأصدقاء، فضلاً عن حنينهم الكبير إلى مرتع صباهم.

لقد كتبت في فصول كتابي ((أخباراً)). قصدت منها إبراز أهمية هذه المدينة، وهي البيئة التي عاش فيها أهلوها ويعيشون فيها إلى اليوم، وطريقة معيشتهم تاريخياً. ولم أتطرق إلى التعليل التاريخي أو إلى أي منهج بحث.

مهما جرى من التحديث والتطوير، ولابد منه، تبقى الأصول التاريخية قائمة، تفرض نفسها، ولابأس بالرجوع إليها بين الحين والآخر، خاصةً وإن طائفة اليهود في حلب، وفي مجتمعهم المغلق، لم يكن لأكثرهم علاقات دولية والقليل من مثقفيهم ومتنوريهم كان اهتمامهم بالتجارة والصرافة أهم من العلاقات الخارجية.

كتب كثيرة نقلت أخبار اليهود؛ لكنها تبحث عنهم في كل بلاد العالم، وكتابي يختص بيهود حلب، وبالمقارنة مع الكتب الأخرى. قد تنقص فيه

بعض المعلومات، لأن قلة قليلة منهم، والمتنورين خاصة كانت لهم علاقات دولية تجارية، أما أكثرهم فعاش في حلب كغيرهم من الصناع والعمال وبقية المهن. عاشوا في أحياء إسلامية وأكثرهم سكن إلى جانب معبدهم الرئيسي، والقلة الميسورة غادرت إلى الأحياء الحديثة ومع المسلمين أيضاً[1].

استفادوا من إصلاحات الدولة العثمانية، فكثر اشتراكهم في الحياة العامة، وقل تأثير رجال الدين عليهم.

رغم ذلك، فإنهم طائفة مغلقة، لها عاداتها وتقاليدها، وقد حاول كتابي هذا التعريف بها علمياً.

حلب في 1-3-2008

[1] اليهود في البلدان الإسلامية 1850-1950، تحرير صموئيل تينحوم، ترجمة د. جمال أحمد الرفاعي مراجعة د. رشاد عبد الله الشامي، سلسلة عالم المعرفة، رقم 197.

الفصل الأول

أصول تاريخية وعيش مشترك

إن يهود الشرق، على خلاف يهود أوروبا، كانوا أكثر اندماجاً في مجتمعاتهم؛ فقد كانوا يعرفون اللغة العربية والإبداع الفني ومعتقدات وأفكار جيرانهم المسلمين أيضاً. ورغم أنه ظهرت في أوساط المسلمين بعض الأفكار الحديثة نتيجةً لتأثرهم بالفكر الغربي. فإن قوة الدين في المجتمع الإسلامي، واستقرار الأسس المحافظة في النظم العائلية وطرق المعيشة، حالا دون اندماج أعداد كبيرة من اليهود في مسيرة الحداثة داخل المجتمع الإسلامي[1]؛ أما الاندماج اليهودي في الحياة السياسية في بلدانهم فلم تكلل بالنجاح، بسبب معارضة رجال الدين من الفئتين، ولظهور الحركة القومية العربية والإسلامية، ولتزايد حدة التوتر بين المسلمين واليهود الناجم عن النزاع اليهودي العربي في فلسطين[2]. عاش اليهود في مدينة حلب القديمة في أكثر من حي، وقد سكنوا حي العقبة، وأن وثائق هذا الحي ترقى إلى فترة ماقبل الميلاد ولا يزال النص الحثي قائماً في الجدار الجنوبي لجامع القيقان يثبت قِدَمَ هذا الحي.

---

[1] نهه الذهب في تاريخ حلب، كامل الغزي، الطبعة الثانية 1991، ص 152

[2] اليهود في البلدان الإسلامية، عالم المعرفة 197، صموئيل ايتنجر، ترجمة جمال أحمد الرفاعي، ص 12 و ص 84

في حي بحسيتا وأكثر سكانه من اليهود، تقوم دلالة الاسم على الأصل القديم السرياني للتسمية، فضلاً عن قرب حي العقبة وحي بحسيتا من المعمرة اليونانية، أي الأسواق القديمة التي تَشَكَّلَ عمرانُها الشطرنجي في القرن الرابع قبل الميلاد[1]، في عهد سلوقس نيكاتور (312 - 280 قبل الميلاد)، هو الذي أمر اليهود أن يترددوا للتجارة في حلب ويقيموا فيها. ورتب عليهم ضرائب فسكنوها، وكثر عددهم فيها حتى بلغت مساحة دورهم نصف ساعة طولاً[2]؛ وتمكنوا من الحفاظ على هويتهم الإثنية والدينية رغم ضغوط السلوقيين وانطيوخوس لإرغامهم على الذوبان في المجتمع الهللنستي.

في الفترة البيزنطية حتى نهاية القرن السادس الميلادي، ما زال بناء الكنيس الكبير، يحتفظ من بنائه بآثار قديمة بيزنطية، بناء وزخرفةً فضلاً عن أنه لا يزال في موضعه الحالي منذ القرن الخامس الميلادي، وقد اكتشف فيه كرسي من البازلت من القرن السابع الميلادي. وإذا كانت حالة الكنيس الحالية هي من فترة القرون الوسطى، لكن عدداً من تيجان الأعمدة البيزنطية قد أعيد استعمالها فيه وكذلك جدران بيزنطية؛ وأن مخططه البازيليكي يتقارب مع ذات المخطط البازيليكي الذي وجد في كُنُس أفامية ومنطقة الجليل[3].

في الفترة الإسلامية ووفق ماجاء في القرآن الكريم. اعترف الإسلام باليهود، رعايا على ذمة المسلمين في الدول الإسلامية، تمتعوا بحماية المجتمع وقبوله وفي حرية العبادة.

---

[1] المسيحية في سورية تاريخ وإشعاع. المجلد الأول الأرشمندريت أغناطيوس ديك. مطبعة الإحسان. حلب 2007. وكتاب حلب بالغة نسية. جان كلود دافيد وجيرار دوجورج. ص 51

[2] نهر الذهب في تاريخ حلب. كامل الغزي. الطبعة الثانية. 1991. ص 162

[3] حلب بالغة نسية. جان كلود دافيد وجيرار دو جورج. ص 202

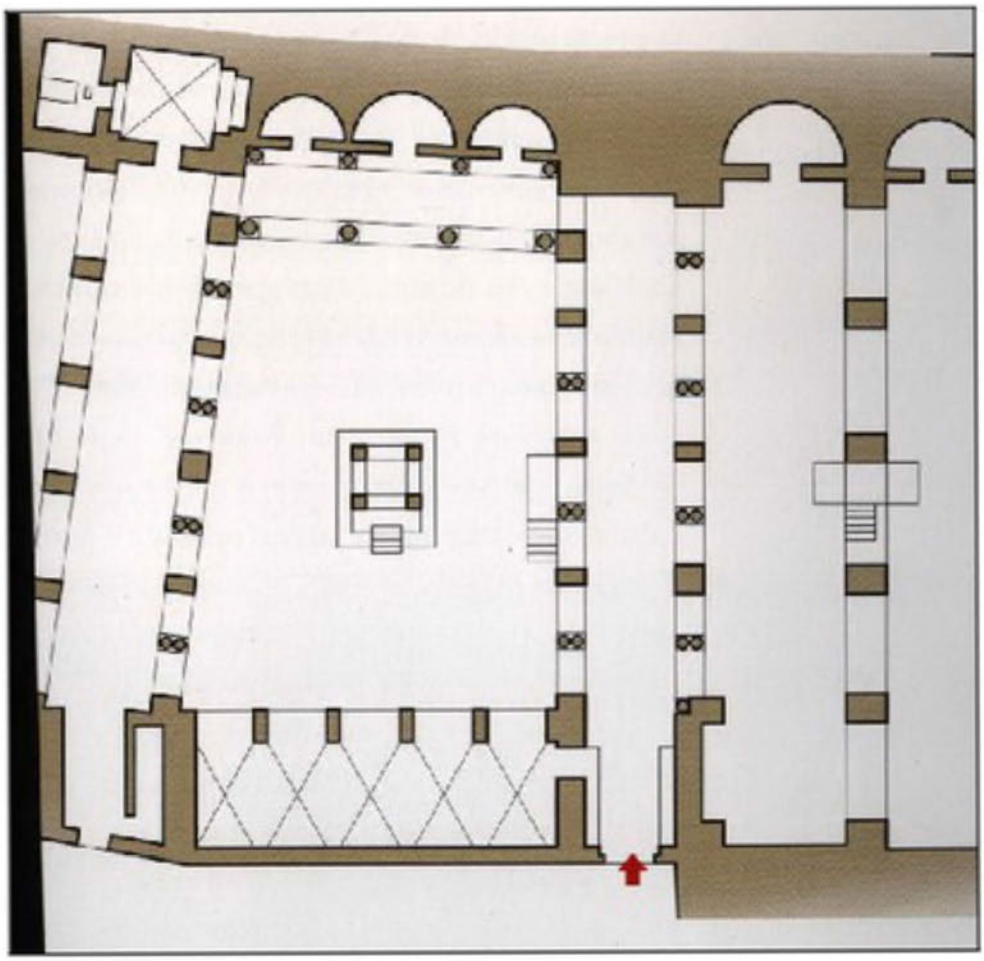

مخطط كنيس اليهود من سوفاجيه ومن ثماوية

منذ القرن الثاني عشر، ومع الاهتمام بطريق الحرير والنشاط التجاري، لعب اليهود دوراً اقتصادياً كبيراً كشركاء، وعاملين مع البيوتات التجارية الأوربية. كما جاءت جاليات يهودية من المدن الإيطالية: ليفورنو، جنوة، البندقية، ومن إسبانيا والبرتغال واليونان (سالونيك) لتقطن في حلب: في الخانات كالأوربيين، وفيما بعد في أحياء حديثة كالجميلية والصليبة الصغرى والتلل وغيرها.

في أعوام 1492 م وما بعد، ومع تفشي قسوة محاكم التفتيش في إسبانيا ضد من هو غير إسباني وكاثوليكي كالمسلمين واليهود، هاجر عدد كبير من

اليهود الإسبان، وجاء قسم كبير منهم إلى حلب، وسكن إلى جانب اليهود الحلبيين في مختلف أحياء المدينة.

عاش اليهود إلى جانب المسلمين في حلب القديمة، وكما أن المسلم الغريب في بلاد الشام ليس غريباً، كذلك فإن المسيحي واليهودي المدني ليس غريباً في بلاد الإسلام. وإنهما في المدينة في بيتهما، لأنهما ينتميان إلى تنظيم اجتماعي وسياسي وروحي اعترف به وقبله المسلمون.

تمييز واحد فصل بين اليهود أنفسهم، فالذين استوطنوا حلب، أطلق عليهم أحد الباحثين الأوربيين ((يهود المسيحية)) استناداً لتقارير قنصلية، أما العرب فسموهم ((يهود الفرنجة[1])).

إذا تجاوزنا مثل هذه التسميات، وعدنا إلى الحديث عن تسمية سكان المدينة لهؤلاء الوافدين، فقد كان يطلق عليهم تسمية ((اليهود الأغراب[2]))، وهؤلاء لاقوا صعوبات في الاندماج مع اليهود الحلبيين الذين لم يقبلوهم سكاناً في حيهم، فسكنوا في الخانات، وسنعود إلى الحديث عنهم فيما بعد.

حين كتب الشيخ ((كامل البالي الحلبي الشهير بالغزي)) كتابه "نهر الذهب في تاريخ حلب"، وتطرق في الحديث عن التعايش المشترك بين اليهود والمسلمين والمسيحيين في حلب، قال: ((... ومن مزاياهم الحسنة تودد أهل الملل الثلاث بعضهم إلى بعض، وتبادلهم الصداقة والمحبة وحسن التعامل والمعاشرة مع التزام الحشمة والأدب، وتناصرهم في الغربة ومزيد ألفتهم

---

[1] حلب، خان سوفاجيه بالفرنسية، ص 51 و 52 وكتاب حلب بالفرنسية، خان كلود دافيد وجيرار دوجورج، ص 51

[2] المصدر السابق، نفس الصفحة.

وحنينهم بعضهم إلى بعض، غير ناظرين إلى اختلاف مللهم ومذاهبهم[1]...))، ويؤكد السيد كالوس: ((كان لليهود في ذلك الزمن علاقات صداقة مع العائلات الإسلامية والمسيحية. وهم لا يشعرون بالعزلة، ويندمجون بالمجتمع الحلبي في السراء والضراء. ولم يكن ينظر إليهم بعين شزراء[2]...)).

لم يعرف عن يهود حلب أية رغبة في السفر إلى فلسطين، سوى لأداء مناسك الحج كالطائفة المسيحية، وبالرغم من أن أسماء جمعياتهم مأخوذة من التوراة، فإنهم عاشوا في حلب وضمن بيئة حلبية. والتشابه في كثير في العادات والتقاليد، مع المسلمين والمسيحيين. وقد ذكر السيد ظافر فكتور كالوس: ((... قليلٌ جداً من دعا وعمل أو بذل لإسرائيل أو ساهم في صندوق إسرائيل الدولي، كانوا يرتاحون إلى جيرانهم العرب ويؤثرون البقاء بينهم[3]...)) ويضيف الأستاذ كالوس ((...كان في حلب لوج للماسونية ضم عدداً من اليهود جاء بهم من ذوي الثراء الواسع[4]...)).

إذا أردنا أن نلخص العيش المشترك، فما علينا إلا أن نحصي (الحارات) التي عاش بها اليهود في حلب إلى جانب المسلمين، فنجدها عشرة أحياء في المدينة القديمة، وحيين في المدينة الحديثة. وسيرد معنا تفصيل ذلك في الحديث عن السكان اليهود وتوزعهم، ويتبين من هذا الإحصاء:

أولاً: لا يوجد في حلب حي يسكنه اليهود فقط (غيتو) كما في بعض بلدان أوروبة، وإن جاءت التسمية ((بندرة اليهود)) تفريقاً لها عن

---

[1] تاريخ اليهود في بلاد الشام. ظافر فكتور كالوس. ص18

[2] نهر الذهب في تاريخ حلب. كامل الغزي. الجزء الأول. الطبعة الثانية 1991. ص84

[3] تاريخ اليهود في بلاد الشام. ظافر فكتور كالوس. ص26

[4] المصدر السابق. الصفحة 85

((بندرة الإسلام))، ولهذه التسمية أسباب تاريخية وديموغرافية سنعرفها فيما بعد.

ثانياً: في جميع الأحياء التي سكنها اليهود، كان المسلمون إلى جانبهم. وتتراوح نسبة اليهود في الحي الذي يقطنون فيه بين 1.8% و 97%، ونسبة اليهود إلى سكان مدينة حلب في القرن الثامن عشر هو 7% من عدد السكان الذي بلغ في هذا القرن مئة وعشرين ألف نسمة.

هذا إن دل هذا على شيء فيدل على العيش المشترك ومسألة التسامح الطائفي والديني. هذا فضلاً عن أماكن العمل والوظائف والتمثيل النيابي، وفي مجلس البلدية. أوَ لَيْسَ الجامع الكبير هذا المكان الذي يلجأ إليه أهالي مدينة حلب ومعهم اليهود، ويجتمعون فيه لدى الأحداث، ولدى سماع خطبة جمعية التحاد والترقي يوماً...

إن الفوارق الدينية لم تفصل الطوائف إلى عوالم اجتماعية منعزلة خاصة بها، وكان الخلاف محدوداً للتشابه بين الحلبيين نتيجة الجانب العملي الذي كان يرشد سلوكهم اليومي[1]. إن الميراث الثقافي المشترك لم يجعل المسلمين والمسيحيين واليهود غرباء بعضهم عن بعض، وإن الأديان الثلاثة غرست فيهم الرؤى الخُلُقية والمثل الاجتماعية المتشابهة[2]. وإن النشاطات العملية في محيط العمل والتجارة قد تأثرت قليلاً نتيجة الفوارق الدينية، وغالباً ما كان أعضاء الجماعات المختلفة يعملون مع بعض المسيحيين تحت سقف واحد كموظفي ذمة.

---

[1] حلب في القرن الثامن عشر، في نهاد ماركوس، ترجمة هيثم حمام، مطبعة جامعة حلب، 2006، ص 56.

[2] المصدر السابق، نفس الصفحة.

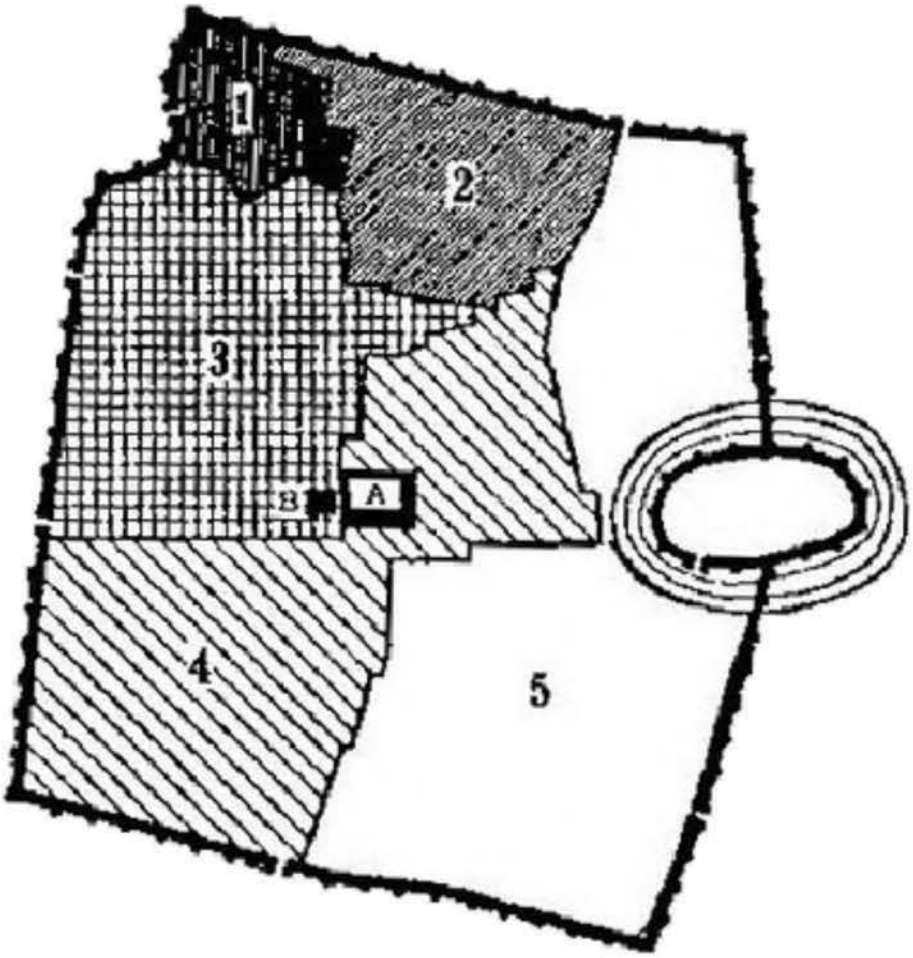

مخطط توزع أحياء المدينة والطوائف (عن سوفاجيه)

1 حي بندرة اليهود

2 حي داخل باب النصر

3 احياء الزهراوي وجب اسد الله والعقبة وجوارهما

4 أحياء الجلوم وباب قنسرين وجوارهما،
(مناطق يسكنها غير المسلمين بنسب متفاوتة)

5 منطقة إسلامية في أحياء حول القلعة وباب الحديد والبياضة

الفصل الثاني

الطائفة اليهودية

الفوارق الاجتماعية

لن نتحدث عن الفوارق الاجتماعية بكل مظاهرها بين اليهود والمسلمين، فسوف أتناول هذا البحث ضمن الحديث عن ((موقف السلطات الزمنية)) تجاه اليهود.

هنا نفصل الفوارق الاجتماعية بين اليهود أنفسهم إذ إنهم طائفة واحدة، أتباع التلمود. ليس فيهم سامرية ولا قراؤون[1] إلا وهو غريب عن حلب. وهم ثلاثة أنواع: كوهن ينتسبون إلى نبي الله هارون عليه السلام ولاوي وإسرائيل، وهم العموم[2].

وجد اليهود، كساميين عرب في بلاد الشام ووادي الرافدين، واعتنقوا اليهودية ديناً، كما اعتنق غيرهم اليهودية من شعوب العالم القديم في القارات الثلاث؛ آسيا وأوروبة، وأفريقية. ومن هنا انتقلت إلى العالم الجديد: الأمريكيتين وأوقيانوسيا.

---

[1] الغزي نهر الذهب في تاريخ حلب. منشورات دار التعليم بحلب. 1991. الطبعة الثانية. الجزء الأول. ص 151

[2] الشرق الأوسط عشية الحداثة. أبو الهام ماركوس. ترجمة هيثم حمام. مطبعة جامعة حلب. 2006

ليس لدينا إحصائيات دقيقة عن عدد من اعتنق اليهودية، إذ لم تتوفر هذه الإحصائيات إلا في العصور الحديثة. ولكننا منذ أن كتب الباحثون عن مدينة حلب، وتمت دراسات علمية عن هذه المدينة القديمة عرفنا شيئاً كثيراً عن اليهود الحلبيين وحياتهم وأماكن سكناهم، فهم حلبيون منذ الأصل والنشأة والإقامة.

سوف نرى بحثاً واسعاً عن أحيائهم وأعداد السكان في إحصائيات تقريبية من بعض من كتب عن حلب أمثال الأخوين رسل وكتابهما في أواخر القرن الثامن عشر، وبول بوران الفرنسي الذي عاش في حلب ووضع كتابه عام 1930، والسيدان هانس غاوبة وأوجين فيرت في عام 1984، والشيخ الغزي بطبيعة الحال.

في هذا الفصل سوف نميز بين طائفتين من يهود حلب. الأولى: هم يهود حلب منذ القديم. الثانية: وجدت منذ القرن الحادي عشر الميلادي، لما تطورت العلاقات التجارية بين حلب والمدن الإيطالية التي ملكت أساطيل هامة في البحر الأبيض المتوسط مثل البندقية وجنوة وبيزة وليفورنيا وغيرها، وجرت هجرات متفرقة ومتعددة، وربما ضئيلة العدد إلى حد كبير؛ من يهود هذه المدن إلى حلب، لأسباب اقتصادية، وتجارية بالذات.

التحق باليهود الإيطاليين يهود آخرون، ومن أوروبة أيضاً، ولعوامل اقتصادية من اليونان ومن سالونيك ومن المغرب أيضاً. وسوف نرى أنهم كانوا يدعون باليهود الفرنجة. وفي القرن الخامس عشر، وبسبب خروج العرب من إسبانيا، ولعوامل أخرى خرج اليهود من إسبانيا أيضاً، واتجهوا

نحو شرقي البحر الأبيض المتوسط، ولكن غالبيتهم اتجهت إلى استانبول وأزمير وغيرها. وهكذا وجدت فئتان اجتماعيتان من يهود حلب. وكما يقول المطران لُردافست: ((بعضهم أغنى أهالي حلب. والبعض أفقر سكان حلب[1]. وظروف حياتهم في بحسيتا سيئة جداً[2]. القدماء سكان هذه المدينة والغرباء المهاجرون إليها، وقد ظل اليهود القدماء يتبعون نظمهم الاجتماعية وطرقهم المعيشية التي تحددت ملامحها منذ أقدم الأجيال، وأن التقاليد الدينية اليهودية في ((تثنية التوراة)) للحاخام الفيلسوف موسى بن ميمون 1135 - 1204... [إننا لا نتبع شرائع غير اليهود ولا نتشبه بهم في ملبسهم أو في شعرهم وماشابه ذلك. ويجب أن يكون الإسرائيلي مختلفاً ومميزاً عن الآخرين في ملبسه وفي سائر أعماله، مثلما هو مختلف عنه في علمه وآرائه[3]]. تتميز الفئة المهاجرة إلى حلب بمميزات، أهمها: المؤثرات الخارجية التي بدأت تزعزع النظم السابقة. وإن هذه الفئة انضوت تحت لواء الأخذ بالفكر الغربي ومظاهر الحداثة[4]. والمحاكاة في ملابس الأوربيين الذي يدل على رغبتهم في الإحساس بعدم الاختلاف عن مجتمعهم المحيط بهم وبعدم الدونية عن غيرهم. ويتبع في الورقة التالية بعد كلمة (فضلاً عن ذلك شكل هؤلاء طبقة لم تلتزم بالخضوع للبناءات التقليدية بسبب ثرائها وثقافتها وصلاتها القوية مع السلطة، وكذلك صلاتها الوثيقة بالسلطات

---

[1] اليهود في البلدان الإسلامية ص9

[2] المصدر السابق ص55

[3] المصدر السابق الصفحة 55

[4] لُردافست الجزء الثاني ص 321 و 322

الأجنبية، فضلاً عن أنه بمقدورها التعامل مع صور الحياة الحديثة. كما تميزت بـ:

أولاً: لم تجد لها مكاناً في الأحياء حيث يوجد اليهود. فسكنوا الخانات إلى جانب الجاليات الأجنبية التي استخدمتهم وعملت معهم في التجارة والترجمة والصيرفة. وحين غادر الأجانب الخانات بعد زلزال 1822، وحين توسعت المدينة وظهرت أحياء في الغرب من المدينة القديمة كالجميلية والإسماعيلية، انتقل إليها هؤلاء اليهود الأغراب مع بعض سكان المدينة القديمة.

ثانياً: كان الفارق الاجتماعي كبيراً بين الفئتين بسبب الغنى والعلم، وقد بلغ بالفقراء اليهود أن قدّم عدد من اليهود في عام 1755 شكوى على العديد من إخوانهم في الدين الأغنياء الذين كانوا يقدمون العون في دفعات ضريبة الرؤوس، وذلك لرفضهم هذا الترتيب الطوعي. وبعد سنتين ذهب أحدهم، ويدعى إسحاق بن يعقوب، بعيداً في الشكوى على ثلاثة رجال كانوا يساعدون أباه المتوفى ببدل قدره نصف قرش أسبوعياً، لأنهم لم يرغبوا في التوسع بكرمهم له[1].

ثالثاً: الاختلاف في العمل. فقد احتكرت الفئة الغنية التجارة والصيرفة والطب والترجمة. وإن أول ترجمان للقنصلية الفرنسية في حلب كان يهودياً[2]، ومثل ذلك من المهن، بينما بقي اليهود من السكان

---

[1] الشرق الأوسط عشية الحداثة. أ. م. هارلكوس. ترجمة هيثم حمام. مطبعة جامعة حلب. 2006

[2] الغزي. الجزء الأول. ص 164

القدماء مستمرين في مهنهم وأعمالهم اليدوية، وحتى في بعض المهن الخاصة كالسمسرة في الزواج واللهو والخدمات...

رابعاً : فئة أغنياء يهود حلب. وكما تبين معنا، كان على رأسهم السنيور صموئيل بيجوتو الذي قدم إلى حلب في عام 1704، وهو من فرنج اليهود، لم يعترف هو وجماعته برئاسة حاخام الطائفة وتنبيهاته التي فرضها على اليهود في حلب في أيامه حول زيارة الخطيب لخطيبته والاختلاء معها، وعدم جواز خروج النساء للبرية (كما يذكر الغزي) للبساتين بوجود الرجال، وعدم جواز زيارة النساء في أول أيام الأعياد وغير ذلك. والواقع أن اختلاف بيئة اليهود الفرنج عن اليهود الحلبيين أدى إلى ذلك.

ولقد ذكر لنا بول بوران بعض أسماء هذه العائلات الغنية: سيلفيرا، بيجوتو، ... مما سيرد معنا في بحث التجارة.

الواقع إذا خرجنا عن إطار مدينة حلب القديمة، فقد عاشت الطوائف اليهودية منذ القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر، في حالة مطلقة من العزلة والانفصال عن المسلمين وبعضها عن بعض، وكانت هذه الظاهرة نتيجة حتمية لظهور العديد من الكيانات المستقلة في البلاد المختلفة[1].

لهذه العزلة نتيجة أيضاً ما شهدته هذه الفترة من تدهور ملموس في قيمة المراكز الروحية وتعاليم التوراة. الأمر الذي لم يساعد على ظهور أي طائفة

[1] حلب بالغ نسية، حان سوفاحية غونتر، باريس 1940، ص 205.

تستطيع أن تشكل بدورها مركزاً دينياً يجذب بدوره سائر اليهود، أما العلاقات المحدودة التي نشأت بين الطوائف اليهودية آنذاك نتيجة، لبعض العوامل الاقتصادية، وتنقل اليهود من بلد إلى آخر لأغراض التجارة الدولية براً وبحراً[1]. فضلاً عن ذلك، شكل هؤلاء طبقة لم تلتزم بالخضوع للقيادات التقليدية بسبب ثرائها وثقافتها وعلاقاتها القوية مع السلطة، وكذلك صلاتها الوثيقة بالسلطات الأجنبية، فضلاً عن أن بمقدورها التعامل مع صور الحياة الحديثة.

خلاصة البحث، لتوضيح وضع الطوائف اليهودية بشكل عام، كان المجتمع اليهودي في الدولة العثمانية طيلة الفترة الممتدة من القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر منظماً على أساس طائفي، وكانت الطائفة تضم طيلة هذه الفترة أبناء نفس المدينة أو نفس المنطقة. ويرجع تاريخ هذه الطوائف إلى عام 1543، أي بعد أن احتل العثمانيون مدينة القسطنطينية، وقد عاش اليهود السفاراد بعد خروجهم من الأندلس في هذه الطوائف.

من أبرزها عدم التمسك بتشكيل الطائفة على نفس الأسس التي كانت معتمدة في الماضي. ولا شك أن التغييرات العمرانية وحركة الهجرة الداخلية التي شهدتها الدولة العثمانية أدت إلى القضاء على خصوصية الطوائف، فأصبحت الطائفة تضم أبناء الحي الواحد الذي كان يضم يهوداً من أصول عرقية مختلفة، كما أدى هذا التغيير الذي طرأ على التركيبة السكانية إلى تضاؤل قوة العلاقة بين الفرد والطائفة[2].

---

[1] اليهود في البلاد الإسلامية ص127.

[2] اليهود في البلاد الإسلامية ص127 و 128.

قد ظهرت في العصر الحديث هيئات جديدة حلت محل الطوائف التقليدية ، كان من أبرزها طوائف الحرفيين التي شكلت منذ منتصف القرن الثامن عشر قوة اجتماعية وتنظيمية واقتصادية على درجة كبيرة من الأهمية ، فكان رئيس الطائفة يقوم في أحيان كثيرة بمهام الزعماء التقليديين المتدينين بالطائفة ، كما حلت فئة المثقفين اليهود محل القيادة بالاشتراك مع قادة الطوائف.

لقد تضاءلت تدريجياً في العصر الحديث قوة العلاقة بين الفرد والطائفة ، وكان من بين عوامل هذا الضعف الذي طرأ على مكانة الحاخامات ، أن أصبح أمام اليهود في هذا العصر ، العديد من الخيارات التي لم يكن لها أي وجود من قبل ، حيث أصبح لبعض اليهود في العصر الحديث حق اللجوء إلى القناصل الأجانب والتمتع برعاية الدول الأوروبية واللجوء إلى السلطة العثمانية ، والتمتع بالخدمات التي كانت المؤسسات التعليمية والصحية والخيرية اليهودية الأوربية تقدمها إلى يهود الدولة العثمانية.

الفصل الثالث

الحرية الدينية

لا شك أن أكثرية سكان مدينة حلب هم من المسلمين، وإن عدداً من الطوائف المقيمة والأغراب يعيشون بينهم، وتربطهم بهم مصالح مشتركة، في الجوار أو في العمل في مهنة ما، أو في التجارة. وإن تمسك اليهود الكبير بتعاليمهم الدينية والقديمة جداً وميل إلى روح التسامح عند المسلمين، ورغم بعض نظرة الاستعلاء، التي ينظرها العامة المسلمون إلى الديانات الأخرى[1]، فقد خف هذا الشعور كثيراً لدى العلماء والتجار، وكان لهذه الطوائف حرية ممارسة شعائر الدينين المسيحي واليهودي، وأكد ذلك دولا موتراي ودولاكروا[2] اللذان عاشا في الشرق طويلاً، وإن هذا التسامح مكّن اليهود من المحافظة على شدة تمسكهم بدينهم[3]. ولكن هذا لم يمنع من الارتداد وإن كان في حالات خاصة جداً في حلب، وفي حالات كثيرة في العاصمة استانبول (الدونمة = المرتد)، وقد ذكر المطران أردافست سورميان: ((معظم المرتدين في حلب هم من كبار السن المسيحيين واليهود المساكين الذين يقبلون الإسلام ديناً جديداً للتخلص من مأزق وقعوا فيه،

---

[1] تاريخ حلب الاليعي، للأخوين رسل، ترجمة خالد حيلي، دار شعاع للنشر حلب 1997، ص 138

[2] المصدر نفسه ونفس الصفحة

[3] المصدر نفسه ص 253 والمقال ان أردافست المجلد الأول، ص 252، والمجلد الثاني، ص 326

بينما نساء داوود هؤلاء البالغين هم أحرار في البقاء على دينهم، وعندما يتزوج مسلم بامرأة مسيحية أو يهودية لا تُكره على الارتداد وقبول دين زوجها، وعلاوة على ذلك يسمح للنساء بزيارتها في البيت[1])). وتابع المطران أردافست سورميان، ((إن سلطة الحاخام الدينية القوية، أما محاكمته فواهية وحقوقه السياسية ضعيفة، ويلجأ اليهود إلى الإسلام)).

لقد استطاع اليهود العيش في مجتمعاتهم الخاصة والحصول على الاعتراف الاجتماعي العام بهم، وكان لجماعاتهم الدينية هرميات اجتماعية خاصة بهم، حيث قام أعضاؤها بالتطبيق على أنفسهم نفس معايير الحكم السارية لدى السكان المسلمين[2].

إن هذه الهوية الدينية وجدت تعبيراً لها بالتضامن مع أخوتهم خارج البلاد، واعتبرت نفسها جزءاً من الهيئة الأكبر والممتدة خلف حدود حلب؛ فكان اليهود يجمعون الأموال سنوياً لتقديم الدعوة لأخوة دينهم في الأرض المقدسة، كما قامت الطائفة بتوفير السكن للمسافرين اليهود الذين كانوا يعبرون المدينة. وقد حافظ الحاخامات على صلتهم مع نظراتهم في الشرق الأوسط[3].

لقد أضافت الدولة علاوة على الإحساس بالوجود المشترك في مجتمعات الأقلية، فقد عاملتهم كوحدات ذات مسؤولية إدارية جماعية[4]، وفرضت

---

[1] المصدر نفسه ونفس الصفحة.

[2] الشرق الأوسط عشية الحداثة حلب في القرن الثامن عشر، في اهتمام ملركوس، ترجمة هيثم حمام، مطابعة حلب 2006، ص 80 وسوف نشير بعد ذلك إلى الكتاب باسم ملركوس

[3] المصدر السابق، ص 55.

[4] نفس المصدر، ونفس الصفحة

ضرائب عديدة كمبالغ مقطوعة على الطائفة، يجب جمعها من الأفراد بواسطة الجماعة نفسها.

المعابد

ذكرت المصادر التاريخية عدداً كبيراً من المعابد اليهودية في حلب؛ فقد نقل كامل الغزي عن أحد الحاخامات عدد ثمانية عشر كنيساً مختصة بالإسرائيليين في حدود عام 1266 / 1847[1]، وعاد فاستدرك ما كان يعرفه وهو أربعة: كنيس بحسيتا، وآخر في باب الملك خارج باب النيرب والثالث جامع الحيات، والرابع في بستان الشاهبندر قرب جسر الناعورة (حالياً في الشارع الموازي لشارع بارون غرباً[2]). ويلاحظ في جميع المعابد، وقدَّرها أردافست بـ 20، وعلى أبوابها وجود الشمعدان ذي الرؤوس السبعة (المينورا). وقد جعل اليهود فروعه السبعة لتوقد فيها سبعة أنوار. وفي التوراة العدد سبعة كبير وكامل[3].

والغزي في جزئه الثاني الذي نشر عام 1926 يذكر: (في محلة الجميلية كنيس قيد التعمير، وخمسة منازل اتخذت كنائس وقتياً يقيمون فيها شعائر دينهم...) وإن بول بوران أحد الأجانب الذي أقام في حلب صحفياً ومراسلاً، وطبع كتابه في عام 1930 ذكر حوالي عشرين كنيساً[4] أو منزلاً للعبادة دون أن يحدد مكانها...

---

[1] نهر الذهب الجزء الأول ص 162

[2] نهر الذهب الجزء الأول ص 162 وموسوعة الأسدي المجلد الرابع، ص 312 وأردافست الجزء الثاني، ص 322.

[3] نهر الذهب الجزء الثاني ص 247

[4] تاريخ حلب قديما واليوم بالفرنسية، بول بوران، مكتبة فسطون 1930، ص 159

جامع الحيات بالقرب من قلعة حلب، كنيس سابق حُوّل إلى جامع

أخيراً فإن السيد ظافر فيكتور كالوس[1] الذي عاصر يهود حلب قبل هجرتهم منها يذكر كنيس الجميلية البورجوازي وكنيس بحسيتا وكنيس تادف للجالية اليهودية. وفيها الـ 500 يهودي، ويقصدها يهود حلب في الأعياد فقط. كما ذكر جان سوفاجية كنيساً بناه (اليهود الفرنجة) في عام 1560، وهدم انتقاماً من اليهود. ومصدره كتاب الدر المنتخب، ص 78[2]. وحين كتب القنصل الفرنسي دارفيو عن حلب ذكر في عام 1680 كنيساً يهودياً واحداً[3].

---

[1] كالوس ص 18 و 28 و 31. بدون ذكر مطبعة أو تاريخ.

[2] حلب حان سوفاجية بالفرنسي ص 226 رقم (850) وتاريخ حلب، الجزء الأول ص 68، للأسقف أرداقست سورميان، ترجمة د. الكسان كشيشيان، دار النهج حلب 2003، والجزء الثاني، ص 323 و324

[3] سوفاجية ص 174.

منخفض في باحة جامع الحيات، ربما كموضأ لاستجرار مياه قناة حلب

إن عدد الكنس اليهودية يدل على وجود طائفة يهودية كبيرة في حلب، منتشرة في المدينة والضواحي وفي البلدات القريبة من حلب كتادف. وقد ترك لنا المطران أردافست وصفاً لكنيس حلب الكبير، فقال: ((في 18 نيسان 1945 زرت الكنيس الكبير، ورأيت الطابق السفلي للفقراء والعلوي للأغنياء. والبناء مقبب وقائم على ثمانية أعمدة مساحته 15×212 متراً مربعاً[1]، يتشكل من ثلاثة أجنحة: الأوسط غير مغطى بالكامل للشعائر وصلوات الصيف. لا يوجد فيه مدافن، وفيه مصلى منقور بالصخر للنبي أشعيا، ويضيف: لليهود كنيس يقع على شارع اليهود [يقصد الشارع بين

[1] تاريخ حلب، الجزء الأول، أردافست سورميان، ترجمة الكسان كشيشيان، دار النهج 2003، ص 323. والجزء الثاني، ص 324.

البندرة وبحسيتا، وهو نفسه الكنيس الكبير]. وفيه نسخة قديمة من العهد القديم.

بعد هجرة اليهود لم يبق إلا عددٌ ضئيل جداً. فالكنيسان الباقيان هما الأول في بحسيتا وقد رمم أكثر من مرة مؤخراً، وكنيس الجميلية وهو مغلق منذ عقود. أما الكنيس التي ذكرناه أعلاه فقد دثر على مر الزمن، وإن كنيس تادف دثر هو الآخر.

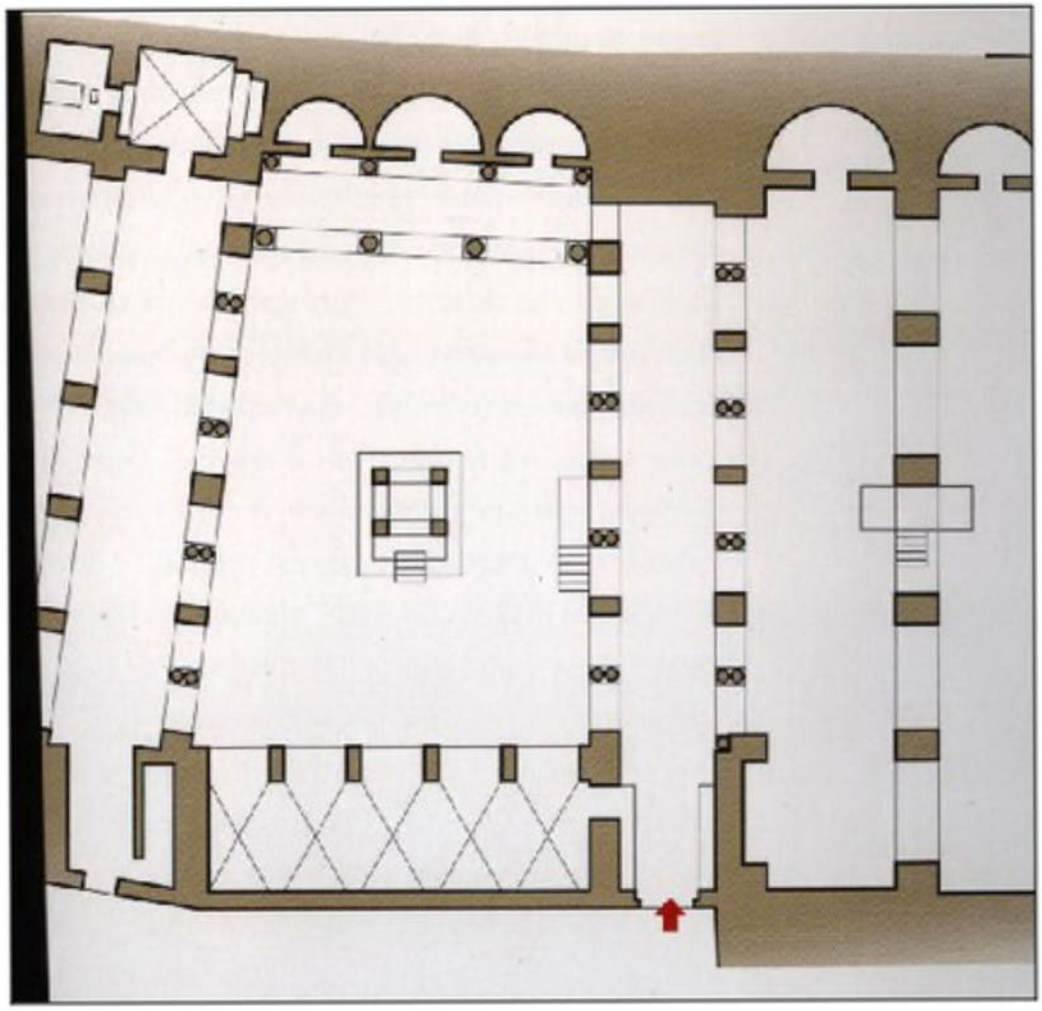

مخطط كنيس اليهود من سوفاجيه ومن غاوبة

مخطط كنيس بحسيتا وصورة الباحة فيه

قبل أن ننهي بحث المعابد اليهودية، ولأن كتابة عبرية لا تزال توجد في جامع الحيات؛ يذكر بعض الباحثين أن أصل الجامع هو كنيس يهودي، ولا بد من أن نوضح أراء هؤلاء الباحثين فيما يلي:

يذكر جان سوفاجية[1] أن سكان حلب، وخاصة حول القلعة، لزدادوا، فأدى الأمر إلى مصادرة كنيس اليهود بحذاء القلعة، وتحويله إلى جامع. وقد تجمع اليهود في حيهم حي بحسيتا، وقد اعتمد سوفاجية على عدة مصادر عربية في هذا الشأن.

أما الشيخ كامل الغزي في كتابه نهر الذهب في الجزء الأول[2] فيذكر أن ((لليهود كنيسة مثقال، وهي جامع الحيات، وفيها حجر مكتوب عليه بقلم الآشورية

---

[1] سوفاجية ص 174.

[2] الغزي الجزء الثاني، ص110. والجزء الأول، ص162 و 163.

واللفظ العربي...)) ويضيف: ((أنها بنيت قبل الهجرة بـ 377 سنة ...)). وفي الجزء الثاني يذكر في بحثه عن محلة الفرافرة ((.. أنه كان كنيسة لهم، وكان يسمى بكنيسة مثقال...)) ويضيف ((... ولما حكم بهدمها (محمد بن علي بن عبد الواحد الزملكاني) هدمت وجعلت مدرسة، ونسبت إلى سلطان الوقت الملك الناصر واشتهرت بالناصرية...)) غير أن الغزي يعود فيستدرك أن محمد بن علي عبد الواحد الزملكاني ثبت لديه أن البناء محدث في دار الإسلام. ولم يشأ ((أن يظلم اليهود بأخذ الكنيسة، ولو أراد لأخذ منهم كنيستهم الصفراء دون أن يعارضه أحد[1]...)).

باحة الكنيس القديم في حي بحسيتا، قبل عام 1948

(حلب جان كلود دافيد وجيرار دوجورج)

[1] المصدر السابق، الجزء الأول، ص 163.

الكتابة العبرية في جامع الحيات

والخلاصة، فإن الكنيس الكبير لعب دوراً كمعبد رئيسي ليهود حلب لأسباب كثيرة، أهمها: موقعه في قلب المدينة القديمة، وقربه من أحياء رئيسية: الفرافرة، المصابن، الدباغة العتيقة، فضلاً عن حي بحسيتا حيث أكثرية السكان من اليهود، ثم أن له بابين رئيسيين من أبواب حلب يؤديان إليه هما باب الفرج وباب اليهود، أو باب النصر لاحقاً.

رئاسة الطائفة والعبادات

يذهب اليهود مرتين في اليوم إلى الكنيس وفي جميع الأعياد. والإشراف الدقيق لحاخاماتهم، يجعل من الصعب التخفي بأعمال التهتك والخلاعة. فللحاخام سلطة دينية وروحية. وتلقى قراراته احتراماً أكثر مما تلقاه كلمة المطران من قبل المسيحيين.

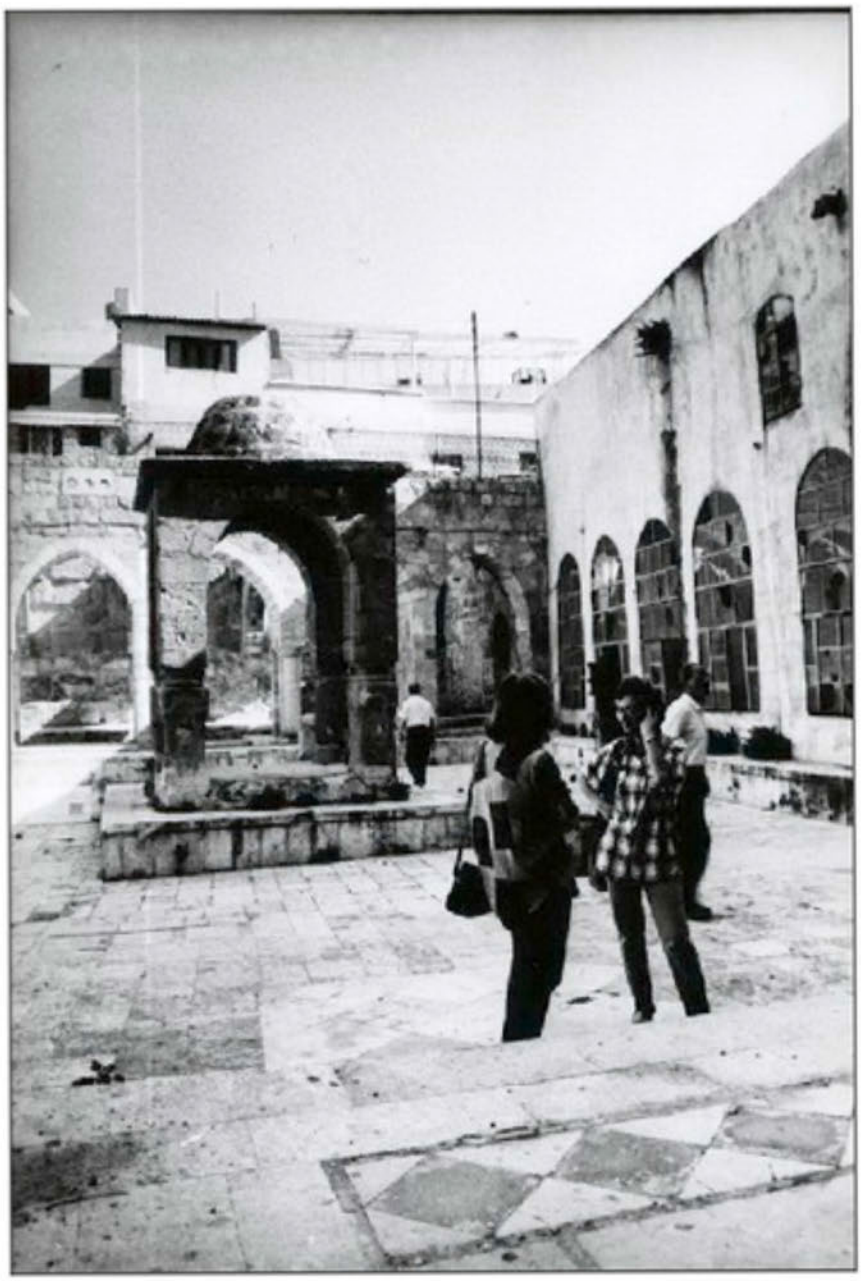

باحة كنيس حلب الكبير - الحالة الحاضرة

كانت الرئاسة الدينية على يهود حلب في أوائل القرن العشرين منوطة بعائلة ((ديان)) الذين يدعون اتصال نسبهم بنبي الله داوود[1]. وحين ازدادت هجرة

[1] نفس المصدر، في نفس الصفحة.

يهود الأندلس إلى حلب بعد عام 1492م. وفيهم فئات ((غنية وذات معرفة ومنهم السياسي والفلكي))[1] رفضوا رئاسة ابن ديان وولوا أحدهم (ربي شلومو) مكانه. وبعد وفاته بدأت طريقة الانتخاب، وقد شذ عنها أحد كبار التجار اليهود الإيطاليين، وهو صموئيل بيجوتو منذ بداية القرن الثاني عشر، وقد دام اعتراضه حتى نهاية القرن.

بعض الزخارف الحجرية في كنيس حلب القديم- بحسيتا - وكتابة عبرية على أحد المداخل

أما بول بوران وهو فرنسي، فأقام في حلب وكتب عنها[2]، فيذكر أن للطائفة الإسرائيلية في ولاية حلب، حاخاماً واحداً رئيساً وحوالي خمسين حاخاماً. خمسة أو ستة منهم مسؤولون عن المسلخ وذبح الحيوانات وفق الشريعة اليهودية.

---

[1] نفس المصدر ونفس الصفحة

[2] حلب قديماً واليوم وحديثاً بالفرنسية، بول بوران، وقسطون بالعربية 1930، ص 158

يشرف الخاخامون على أمور العبادة. ويشددون على احترام عطلة يوم السبت، حتى لدى سير قوافل التجارة فيؤخرون مسيرتها[1]، كما يشرفون على مواسم الصوم، وهي قاسية أحياناً كالصوم الوحيد لعيد الموزاييك[2]، إذ يدوم أربعاً وعشرين ساعة كاملة. وقلما تمنح النساء الحوامل والأشخاص المرضى إعفاءاً إلا بتقرير الطبيب، وهنا يزعم بعض العامة الجهلة من المسيحيين الحلبيين[3] أن اليهود يضحون في هذه المناسبة في بعض الأحيان بطفل مسيحي. وهناك صوم ثانٍ وثالث ورابع وخامس وسادس. ولكل منهم مناسبته[4].

هذا الإشراف على الصوم رَفَضَهُ صموئيل بيجوتو، وأيده بذلك بعض الخاخامات. يذكر الأستاذ كالوس أن المرأة تصلي في زوايا خاصة بالسيدات، ولا يحق لها أن تختلط بالرجال أثناء الصلاة. وقد أعد في كنيس الجميلية بابان: واحد لخروج الرجال، والآخر لخروج النسوة.

أما الصلاة لدى اليهود فهي تباريك يتلوها اليهود في الكنس جماعةً، وهي[5]:

1. مبارك أنت إلهنا إله آبائنا، إله كبير مخيف خالق...
2. السماء والأرض درعنا ودرع أباتنا وأجدادنا، إنك تحط المرتفعين وتحكم على الظالمين. إنك حي مدى الأجيال، تقيم الموتى وترسل الندى، وفي لحظة تثبت لنا الخلاص...

---

[1] رسل ص 254

[2] المصدر السابق. ونفس الصفحة

[3] المصدر السابق. ص 253

[4] المصدر السابق ص 254

[5] كالوس ص 89 - 90

رواق في جامع الحيات الحالي

3. أنت قدوس، وليس إله سواك...
4. أعطنا أن نعرفك، ونعي شريعتك...
5. أعدنا إليك، وجدد أيامنا كما في الماضي...
6. اغفر لنا أبانا، لأننا أخطأنا إليك. وامسح زلاتنا...
7. انظر إلى حزننا وناصر قضيتنا، ونجنا من أجل اسمك...
8. اشفنا من جرح قلبنا، وأبعد عنا الألم والتنهد...
9. بارك هذه السنة حتى تكون جيدة في كل نوع من الإنتاج. قرّب سنة تحريرنا، وأشبع العالم من كنوز رحمتك، وبارك عمل أيدينا...
10. انفخ في بوق تحريرنا، وارفع علماً تجمع حوله شتيتنا...

11. أعد قضاتنا كما في البدء وكذلك مستشارينا، واملك علينا أنت وحدك...

12. لا يكن أمل للكفرة، واقلع مملكة الكبرياء، وليبد المسيحيون والبراطقة في لحظة، وليمحوا من سفر الحياة، ولايكتبوا مع الصديقين...

13. لتكن مراحمك حارة على محبي العدل مع الذين يرضونك...

14. ارحمنا يا رب، صب مراحمك على إسرائيل شعبك، وأورشليم مدينتك، على صهيون مقر مجدك، وعلى مملكة بيت داوود. فسبح عدلك...

15. اسمع يا إلهنا تضرعنا، وارحمنا لأنك رحيم...

16. تلطف إلهنا واسكن في صهيون، وليخدم عبيدك في أورشليم...

17. نشكر لك إلهنا وإله آبائنا وأجدادنا مراحمك نحونا ونحو آبائنا...

18. ثبت السلام في إسرائيل شعبك، وفي مدينتك وميراثك، وبارکنا جميعاً كواحد... (نقلاً عن مجلة المسيرة)[1].

إن من أهم أركان العبادة عند اليهود: تابوت العهد، وهياكل كهنته، وقد تطورت هذه الأركان، إلى أن وصلت إلى الشعائر التالية، وهي الأساسية في الدين اليهودي: التطهير، والختان، والذبائح، والصلوات، والصوم، والمحرمات.

---

[1] كالوس ص 89 - 91.

لقد كان على الذبائح في الديانة اليهودية شروط هامة ؛ إذ يشترط في الذبيحة أن تكون خالية من[1] الأمراض، ويجب أن يعاينها حاخام مأذون، ويأمر بذبحها[2]، وتباع اللحوم إلى الفقراء اليهود بسعر منخفض، ويُعوض البائع بالفرق من صندوق الملة.

باحة جامع الحيات: المدخل واحد الاروقة

إن من أهم أسباب الاختلاف بين يهود حلب القدماء، والفئة اليهودية التي جاءت من المدن الإيطالية وسببها العمل التجاري في حلب. ومنهم أسرة بيجوتو، أي فرنج اليهود أو اليهود الفرنجة. ومنهم السنيور صموئيل

[1] المصدر نفسه، ص 87

[2] رسل، ص 249

بيجوتو، هو اختلاف في البيئة التي عاشت فيها الفتنان. وقد أدى هذا الاختلاف عدم اعترافهم برئاسة الحاخام وتعليماته ((بعدم جواز زيارة الخطيب مخطوبته والاختلاء معها، وعدم جواز خروج النساء للبرية والبساتين بوجود الرجال، وعدم جواز زيارة النساء في أول أيام الأعياد، وغير ذلك)). وقد أدى هذا الخلاف إلى رأي أبداه أحد الحاخامين وأيده في ذلك حاخامون من القدس والشام، ومفاده أن هذه الأسرة لم تكن تتبع هذه التعليمات، وليس عليها أن تتبعها حديثاً[1].

[1] الفزي، الجزء الأول، ص 164.

الفصل الرابع

الخدمات العامة والصحة

كانت الطائفة اليهودية في حلب من أكبر الطوائف اليهودية في البلاد العربية عدا العراق[1]. وكما تقدم ؛ تنقسم إلى فئتين. الأولى بورجوازية غنية، والثانية فئة عمال وصناع.

عرفت الفئة الثانية بقسم كبير من أفرادها من الطبقة الدنيا الأكثر قذارة والأسوأ هنداماً[2]، ولا يقومون بتنظيف بيوتهم ولا أنفسهم إلا مرة واحدة في الأسبوع، لذلك تحدهم يمتثلون بشكل صارم ليوم السبت الذي يبدأ ليل الجمعة عند الغروب وينتهي في حوالي الوقت نفسه من اليوم التالي، إلا أن التحضير له يبدأ قبل ظهر يوم الجمعة. وبعد قيام نسائهم بتنظيف المنازل وطهي الطعام المخصص ليوم السبت، يذهبن إلى الحمام ويرتدين ثيابهن النظيفة هناك[3].

قسم كبير من أعمال هذه الفئة الدنيا، وخاصة النساء اللواتي يعملن في الخدمة في الحمامات، حيث يعملن كـ "قيّمة"، وهي المرأة التي تشرف على

---

[1] نهر الذهب في تاريخ حلب. كامل الغزي. الطبعة الثانية 1991. ص 162

[2] كالوس ص43

[3] رسل. ص 249

تحضير كل شيء في الحمام، والعناية بالنساء في الحجرة الحارة. وهي تعرف قواعد الحمام، وتقوم بفض جميع النزاعات، وتكون حاذقة ونربة اللسان.

كما كانت فئة منهم تمتهن الغناء والعزف على شتى أنواع الآلات الموسيقية، وبعضهم أجاد أداء الموشحات الأندلسية والقدود الحلبية، منهم: الشقيقان أولاد غزالة، وزكي مراد والد ليلى مراد المعروفة وبديعة مصابني، وغيرهم[1].

لم تكن الفئة الغنية لتبخل على أبناء دينها بالمساعدة، وقد كان ما يقدم للفقراء يفي حاجتهم إلى حدٍ ما. لقد سلك اليهود طريقاً معيناً للتغلب على حدود الصدقة الطوعية؛ فقد كانوا يعطون الصدقات ويوقفون الممتلكات لدعم الفقراء من الطائفة؛ كما استخدموا السلطة الطائفية لجمع الأموال لأهداف جماعية، ربما في ذلك مساعدة الفقراء.

إن فكرة النظام المنتظم بصورة جماعية من أجل مساعدة الفقراء، الذي يجد موارده من الضرائب أفضل من الإسهامات الطوعية لوحدها، وقد اتخذت شكلها الأكثر إتقاناً لدى الطائفة اليهودية الصغيرة، حيث احتفظ اليهود بأموال خاصة ساعدت العائلات الفقيرة بنفقات المساعدة الخاصة بهم[2]. ومن المعروف أن اليهود الأغنياء يلتزمون بدفع ضريبة الرؤوس عن اليهود الفقراء.

لقد قوّم نظام الضريبة الطائفي حصة كل عضو بحسب موارده المالية، وبذلك وضعوا العبء الرئيسي على الأغنياء. وكان من النشاطات الخيرية

---

[1] رسل، ص 249.

[2] كالوس ص 44 و45

المنظمة على أساس جماعي، وكانت عملية دفع الإعانات المالية تساهم أيضاً بالمساعدة على شراء اللحم من قبل العائلات الفقيرة[1].

إن الأساليب المختلفة لمساعدة فقراء اليهود، لم تكن نتيجة تقليدها الطويل للتنظيم الجماعي البارع، ولكن في إحساسهم بعدم الأمان كأقليات، لقد علمتهم التجربة أن التحول إلى الإسلام، هو التهديد الأعظم لحفظ ذاتهم الجماعية[2].

يضاف إلى ذلك ما يعرف بـ"اللمّة"، وهي صندوق عيش العائلات الفقيرة تجريها في كل عام الجمعية اليهودية. فتفرض نسبة على أرباح اليهود كل سنة، وتجمعها لتنفقها على ذوي العسر من أبناء الطائفة، وعلى الشؤون الاجتماعية التي تتناول أحوال الطبقة الفقيرة مثل السكن والزواج. فكانت الفتاة الفقيرة تجد عوناً لها لدى هذه الجمعية التي تبادر إلى إسعافها لتحضير جهاز العرس، أو دفع دوطة للعريس[3].

كان ليهود حلب أوقاف للأعمال الخيرية، وخاصة في أسواق المدينة، فبين عينة من 346 محضرٍ وقفيٍ تبين أن 25 محضراً خصصت عائداتها لتصرف على الفقراء، ومنها الأوقاف المسيحية واليهودية[4]، كما أن 29 محضراً وقفياً خصصت عائداتها لتصرف على المباني الخيرية بما فيها المسيحية واليهودية، وهي موزعة: 14 محضراً للمسلمين و15 للمسيحيين واليهود[5]؛ تدار من قبل

---

[1] ماركوس ص 218

[2] كالوس ص 25

[3] نفس المصدر السابق، ونفس الصفحة. وأرنافست-سورميان الجزء الثاني، ص 549

[4] أسواق المدينة في حلب، الدكتور محمود حمد يثاني، نشر دار شعاع، الطبعة الثانية 2006، ص 25.

[5] المصدر السابق نفس الصفحة

الرؤوساء الدينيين في كل طائفة بحسب تعاليمهم وشرائعهم. وللطائفة اليهودية ميتم تديره، وكان في أوائل القرن العشرين يضم حوالي مئة طفل، وينفق عليه من الإعانات المحلية والخارجية[1].

اهتم اليهود في حلب بموضوع الصحة. وفي القرن الثامن عشر، انتشر الطاعون في سنوات 1742 والستين التاليتين، ولزدادت الإصابات نسبياً بين اليهود[2]؛ ولم يتم بناء مشافٍ جديدة، ولم تكن مئات الأوقاف الخيرية مُنحت الصلاحية من أجل دعم المشافي القائمة[3]، بل إن معظم سكان المدينة تُركوا كي يدفعوا من أجل المعالجة الطبية والأدوية من جيوبهم الخاصة، دون الاستفادة من الدعم الحكومي أو المساعدات العامة أو التأمين الصحي[4]. إن الطائفة اليهودية الصغيرة المتماسكة حافظت على تمويل خاص للمرضى، مأخوذ من ضريبة فرضت على الأعضاء، وأعانت النفقات الصحية للفقراء[5].

كما أن ولادة الأطفال كانت تسبب الفقدان الدائم للحياة، إذ يمكن أن يحدث الكثير من الأخطاء أثناء فترة الحمل والولادة، ولايستطيع مختصو الولادة المعاصرون حلّها. فغالباً ما تتوفى الأمهات والأطفال أثناء الولادة أو من التعقيدات خلال النتائج الكارثية. لقد ثبت أن المخاطر على الأم والطفل كبيرة، لأن النساء كن يتزوجن بصورة مبكرة، وكن في الغالب يلدن في سن المراهقة عندما تكون أجسادهن غير مؤهلة لمعالجة الإجهاد الجسدي.

---

[1] ماركوس ص266

[2] رسل ص368

[3] ماركوس ص266

[4] ماركوس ص266

[5] ماركوس ص266

في السنوات المتوسطة للقرن الثامن عشر؛ لاحظ طبيب طائفة التجار الإنكليز د. رسل نسبة عالية من الوفيات بصورة خاصة عند الرضَّع لدى اليهوديات اللواتي كان عليهن الزواج في سن أبكر من جاراتهن المسلمات والمسيحيات[1]. وقد لاحظ الشيخ كامل الغزي من خلال الظروف التي لاحظها في بداية القرن العشرين، حيث شجب الزواج المبكر الذي سبب الوفيات غير الضرورية، وكذلك الضعف الجسماني للأمهات وأطفالهن، كما وجد أن اليهوديات هن أكثر الممارسات الشائعات للزواج والحمل المبكر[2]. أما الأطباء، فإن عدداً كبيراً جداً من الأشخاص يزاولون الطب في حلب، ولا يحول الاعتقاد بالقضاء والقدر دون اللجوء إلى مساعدة الطب عند إصابتهم بالمرض، ويلقى الأطباء بشكل عام احتراماً من قبل السكان.

لعل المخاطر التي تكتنف ممارسة الجراحة، حدت بالمسيحيين واليهود من الحلبيين إلى تفضيل الطب وترك الجراحة للمسلمين[3].

أما عامة اليهود فيؤمنون أكثر من السكان المحليين الآخرين بوجود العين الشريرة وتأثيرها في تفشي بعض الأمراض، إذ تعزى الأمراض من النوع الهيستيري كالصرع والجنون إلى الأرواح، وفي حالات كهذه لا يثقون تماماً بحاخاماتهم، بل يلجؤون إلى المشايخ المسلمين لكي يقرؤوا لهم بجانب سرير المرض، واتباع أساليب متعددة في تحضير الأرواح، وكبعض المسلمين يؤمنون كثيراً بالتنجيم، ويؤمنون كثيراً بالدجالين الأفريقيين ممن يجيدون

---

[1] نفس المصدر، ص256

[2] الغزي الجزء الأول، ص207 وما بعدها

[3] رسل ص284

السحر، ويجولون في الشوارع للكشف عن الطالع والحظ، ومن بين عدد كبير من العادات الخرافية التي تمارسها النساء[1]، العادة التالية أكثرها شيوعاً: إذ يربطن قطعة صخرية صغيرة تشبه في مظهرها الألمنيوم فوق طاقية أطفالهن لحمايتهم من تأثير العين الشريرة، ويزعمون أن الألمنيوم يحول دون إحداث الأذى الذي ينقسم إلى قسمين، فينجو الطفل دون تعرضه للأذى. ولا يمكن بأي شكل من الأشكال إقناع الكثيرين الذين يكونون في أحوال أخرى جيدين، بأن الألمنيوم إذا ما عرض بهذه الطريقة، أصبح قابلاً للانقسام بتأثير الطبيعة، ويرجعون إلى التجربة، ولديهم دائماً عدد من الأمثلة لإثبات فعالية هذه التعويذة[2].

لا يعتني أحد من الشرقيين بالمصابين بأمراض مزمنة في الشرق كما يفعل اليهود. وتأخذ قريبات المريض على عاتقهن مهمة العناية به، ويطعن التوجيهات التي تقدم لهن بدقة، ويقدمن تفاصيل دقيقة عن حالة المريض أثناء زيارة المريض. ويقدم الحاخام عزاءً روحياً للمرضى؛ وقد شوهدوا في بعض الأحيان وهم يؤدون صلواتهم ويقومون بالطقس التالي الذي يبدو غريباً وسطحياً: يجلس الحاخام بالقرب من السرير وبيده سكين، تعلق على طرفها قطعة صغيرة من الخبز. وبعد أن يتفوه بعدة كلمات، يقربها من صدر المريض، حيث يبقيها فترة من الزمن، ثم يوجهها إلى خصره، ثم إلى معدته وبطنه، ويدمدم الحاخام أيضاً خلال ذلك بكلمات غير مفهومة[3].

---

[1] المصدر نفسه، ص257

[2] المصدر نفسه، ص257

[3] المصدر نفسه، ص258

لما لم يكن الأطباء على ما يبدو متفوقين، في بعض المجالات، فقد كانت معالجتهم تسبب الأذى أكثر من الشفاء، وبرهنت أدويتهم على أنها بدون فائدة أو أسوأ؛ ولهذا ازدهر الشفاء الإيماني والمعالجات السحرية لأن الناس لم يستطيعوا وضع ثقتهم الكاملة بالطب؛ بل قصدوا وقاية أنفسهم ضد الأمراض والحصول على الراحة من آلامهم من خلال تنوع الوسائل التي ذهبت إلى ما وراء ما هو طبي.

لمنع الأمراض، أو قصد المعالجات، كان الرجال والنساء في كل الطبقات عامة يضعون ثقتهم في تعويذات، متوسلين عن طريق المشايخ والقديسين، ويستشيرون العرافات والمنجمين، نظراً لإيمانهم بقوة الأرواح غير المرئية المسيطرة على الجسم، وغالباً ما كان المرضى يلجؤون إلى الرقية أو الشفاء الإيماني؛ إضافة إلى استخدام الأطباء.

كان اليهود يطلبون من الأحبار أن يصلوا على طرف سرير المريض، وذلك كي يساعدوه في صراع الأرواح الشريرة، بل حتى إنهم كانوا يستأجرون رجال دين مسلمين لممارسة قواهم للشفاعة والرقية السماوية[1].

كان لليهود في حلب مستشفى يقع في مركز أسواق المدينة، وهو عبارة عن بناء قديم بعمارة حلبية محلية تشابه منازل السكن، وقد زرته أكثر من مرة أثناء مسؤوليتي عن آثار حلب في ستينات القرن العشرين. يتألف من عدة غرف. وعلى مدخل كل غرفة كتابة بالعبرية لم يتسن لي تصويرها وترجمتها، وربما كانت تشير إلى أحد المحسنين، أو إلى اختصاص هذه الغرفة

[1] ملركوس ص267.

ضمن فعاليات المستشفى. لقد كان حين زرته مؤخراً معطلاً عن العمل[1]. وإن فعاليات مهنية جديدة جرت، فيه وهي خياطة أكياس لتستعمل في ملء الحبوب. وحين بدأت بوضع هذه الدراسة لم أرَ أثراً لهذه الكتابات، وأعلمني الجوار أن الحمام القائمة أمام مبنى المستشفى كانت ملحقة به، وكانت تدعى حمام الفقاس، ثم أصبحت تسميتها ((حمام النعيم))، ويذكر لي أحد الجوار أن بناء الحمام، وهو بناء حديث نسبياً، كان من أجل اليهود ومستشفاهم. وكان فيه مغطس، حيث من تقاليدهم أن يكون في حمامهم مغطس، فضلاً عن استقبال المسلمين أيضاً، وإن وجود الحمام والمستشفى كان في مركز المدينة حيث تنتشر فعالياتهم.

لقد ذكر بول بوران في عام 1930 مستشفى إسرائيلياً يقع خلف مصرف سورية ولبنان، ولا بد أنه المستشفى الذي ذكرته أعلاه، وإنه يحوي قرابة ثلاثين سريراً[2].

مهما يكن، ففي العصر الحديث لزدادت المؤسسات الخيرية، نتيجة لتدهور أوضاع اليهود الاقتصادية ولتزايد عدد الفقراء في أوساطهم. أسست طوائف الحرفيين التي تزايدت أهميتها في القرن التاسع عشر العديد من المؤسسات الخيرية التابعة لها[3]. ويضاف إليها التبرعات الضخمة التي قدمتها العائلات اليهودية الثرية في أوروبة[4].

---

[1] لقد زرته حين وضعت هذا الكتاب في الشهر التاسع من العام 2007. فوجدته قد قسّم إلى عدة مستودعات للأقمشة. ومحيت الكتابات العبرية فوق مدخل كل غرفة بالبيتون المسلح. وكأني رأيت بقايا المغطس فيه. وقد غطيت جدرانه بالسيراميك.

[2] بول بوران ... ص 273.

[3] اليهود في البلدان الإسلامية ... ص 260.

[4] المصدر السابق، ص 261.

الفصل الخامس

اليهود والسلطات الزمنية

موقف السلطات الزمنية تجاههم

عاش يهود المشرق الإسلامي على مدى ما يقرب من ألف ومائتي عام تحت حكم الإسلام، وإن الدولة العثمانية، منحت المستويات والألقاب واستثناءات الضرائب وامتيازات اللباس حسنات عديدة، وأضافت علامات شكلية أخرى تُبرز عدم المساواة. ومع ذلك أدرك سكان حلب أنّ عناصر الأديان الأخرى جيران لهم ومساعدون لهم بالعمل وزملاء بالمهنة. وعادة ما يتحدثون لغتهم، ويعيشون في بيوت مشابهة لبيوتهم، ويتمتعون بالطعام نفسه، ويستوعبون نفس المتابعات والمتع؛ وإن كان هناك عدم مساواة أمام القانون ميزتهم بعضهم عن بعض؛ فالمسلمون والمسيحيون واليهود رأوا أنفسهم عناصر طوائف متميزة تنظمت حيال معتقدات مختلفة.

لقد تربى المسلمون على الشعور بالتفوق الخُلُقي على ملتزمي العقائد الأخرى وبالولاء لدينهم ولأخوتهم بالدين[1]. والقانون نفسه أكد أهمية الفوارق الدينية بشكل ملحوظ بين المسلمين وغير المسلمين.

---

[1] نهر الذهب في تاريخ حلب، الغزي، منشورات دار القلم بحلب 1991، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ص 151

عاش سكان المدينة المسلمون، مع أقلية من المسيحيين واليهود؛ وشكل هؤلاء الأخيرون جماعة متنافرة من شرق أوسطيين أصليين، ومهاجرين إسبان (سيفر دايم)، وكان هذان العنصران واعيين لأصولهما وتقاليدهما المختلفة[1]. ولكن من وجهة نظر المسلمين، هم كتلة واحدة غير متمايزة، وكذلك من وجهة نظر القانون؛ فممنوع عليها إعطاؤهم حصة في السلطة ويخضعون لضرائب خاصة، ويمتازون عن المسلمين بقيود مفروضة على اللباس وأنواع الفروض الاجتماعية الأخرى. وبكلمة واحدة، إن غير المسلمين اختاروا العيش في هذا المجتمع، ولكن كونهم ذميين[2] فهم مستثنون، بصورة فعالة من المشاركة بالسلطة السياسية، وكانت الوظائف العالية مغلقة أمامهم، كما أن ضريبة الرؤوس (الجزية) التي كانت مطلوبة من كل ذكر بالغ مسيحي أو يهودي بقيت أحد الملامح الثابتة للفترة الزمنية[3]. كما أن الأتراك أكرهوا اليهود والمسيحيين على السير في موكب ديني بسبب اجتياح الجراد[4].

إن القيود على اللباس استمرت فترة طويلة، لغرض واضح هو تمييزهم بصورة مرئية، وقد طلب من اليهود تحديد ملابسهم وأحذيتهم وأغطية رؤوسهم والتقيد بألوان وأساليب محددة؛ وكان على الأرقى منهم أن يرضي خياله بالنسبة للملابس الممنوعة في خصوصية منازلهم، كما كان

---

[1] ماركوس ... ص 53.

[2] المصدر السبق نفسه، ص 53

[3] ماركوس ... ص 53.

[4] أرنافست ... الجزء الثاني ص 329

الحكام يصدرون دورياً أنظمة تخص الملابس بفرض قيود جديدة على الألوان المسموح بها[1] ؛ واستمر ذلك حتى التمييز في الملابس في الحمامات العامة. ومن الواضح أن غير المسلمين جهدوا في تعزيز الهوية القومية، وكانت كل جماعة قادرة على تأكيد استقلال ذاتي، خاصة وأنه من المسموح لهم اتباع قوانينهم الخاصة بهم وتطبيقها[2].

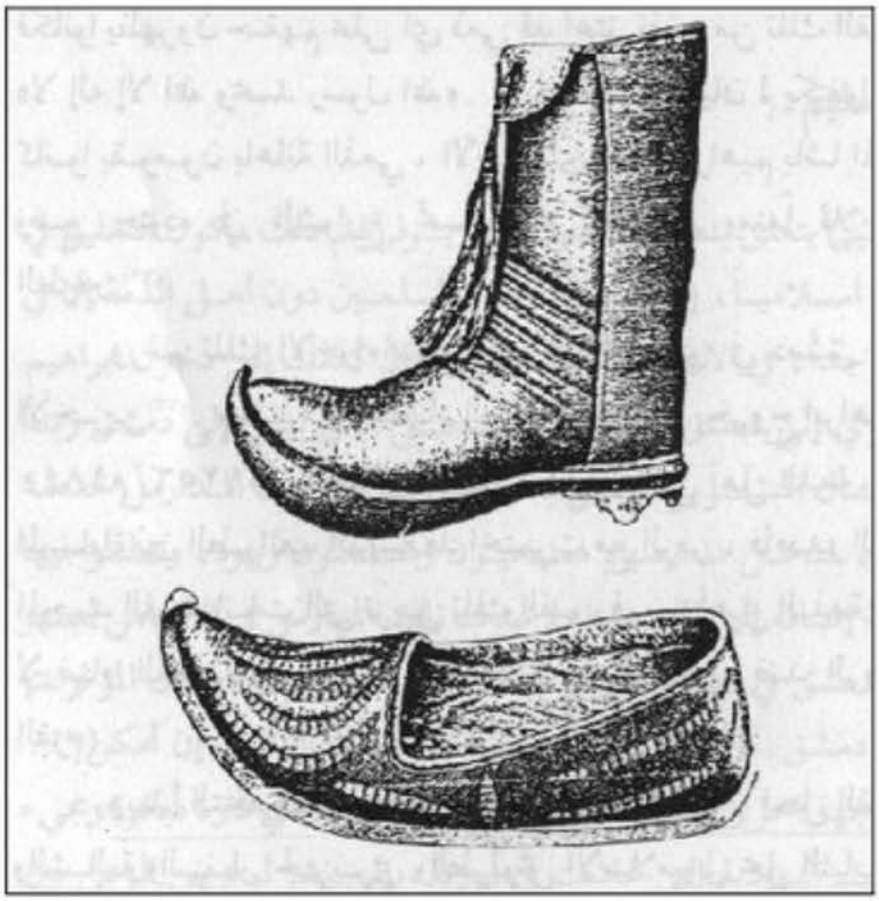

بعض أشكال الأحذية التي استعملها اليهود

[1] ماركوس ص 54

[2] ماركوس ص 54

لقد أضافت الدولة علاوة على الإحساس بالوجود المشترك والمنفصل في مجتمعات الأقلية شيئاً ما، بمعاملتهم كوحدات ذات مسؤوليات إدارية جماعية؛ إذ فرضت ضرائب عديدة كمبالغ مقطوعة على الطائفة بكاملها، يجب جمعها من الأفراد بواسطة الجماعة نفسها.

إن وجود القنصليات والتجار الأوربيين وامتيازاتهم، والسماح لكل قنصل باستخدام ترجمان واحد أو اثنين من الرعايا غير المسلمين، حتى إن كل ترجمان له شخصان، ويسمى الواحد (فرامانلي)[1]، وخاصة من اليهود. وكانوا من بني جنس أكثر القناصل، بل وإخوتهم في الدين من الإيطاليين، جعلهم يتمتعون بالحماية القنصلية والامتياز الكبير وهو الإعفاء من الضرائب، حتى إن الأغنياء منهم كانوا مستعدين لشراء شهادة حمايتهم التي تعفيهم من دفع الضرائب[2].

لقد وصلت عائلات هؤلاء التجار الأجانب إلى حلب كمواطنين أجانب محميين وليسوا كذميين، فأسسوا أعمالاً تجارية مزدهرة، واستخدموا الكثير من اليهود المحليين، ووضعوهم تحت حمايتهم.

لقد ولدت جماعة من اليهود أصحاب الامتيازات الذين قدرت السلطات المحلية أن عددهم وصل إلى ألف وخمسمائة مع نهاية القرن الثامن عشر[3]، فصلوا أنفسهم عن "الذميين" وكسبوا الاعتراف كفئة اجتماعية منفصلة، وقد رمزت قبعة من الفرو الفخمة إلى وضعهم الواضح.

---

[1] حوادث حلب اليومية، محمود الفوال، دار شعاع الطبعة الأولى 2006، ص 89

[2] ماركوس ص 58

[3] ماركوس ص 59

تضخمت طبقة الأشخاص تحت الحماية في حلب، وإن إعفاءهم من الضريبة قد قلص من عائدات الدولة، فانطلقت بحملة للتخلص منهم حيث صدر أمر رسمي عام 1806 ألغت الدولة بموجبه امتيازاتهم، وكذلك قبعة الفرو، وكل شيء آخر[1]؛ إذ اعتبرت أنهم دخلوا بالخدعة والحيلة وامتنعوا عن دفع التكاليف الأميرية وكانوا تجاراً، فعينت الدولة للفحص عنهم رجلاً حضر إلى حلب وأحضرهم جميعاً وراجع أسماءهم في سجل الترجمة فلم يظهر له غير ستة بحق، فحذف ماعداهم وأرسلهم لإستانبول للمجازاة[2].

إن اليهود، ومهما بلغت ثروتهم وتعليمهم وأسلوب حياتهم، فقد كان بلوغ القمة مسدوداً أمامهم دائماً بحاجز ديني. وكذميين كانوا غير قادرين على تحقيق المكانة الاجتماعية المتناسبة مع خواصهم، لكنهم في مجتمعهم الخاص أحرار. فإن رأي إخوانهم بالدين كان يهمهم، وبذلك يستطيعون تأسيس هوية اجتماعية أكثر ايجابية[3].

إضافة إلى ما تقدم، فإن الأقليات غير المسلمة مارست إجراء الاستقلال القضائي الخاص بهم، وحافظ اليهود على محكمة الأحبار التي كان يرأسها قاضٍ واحد[4] عرفت واحدة منها في خان القصابية في أسواق المدينة، تسوى

---

[1] ماركوس ص59

[2] الغزي الجزء الثالث، ص 2 2.

[3] ماركوس ص80

[4] اليهود في البلدان الاسلامية ص 48 (إصدار الهمايوني 1856 الذي تضمن أسس سياسة الإصلاحات ((رعايا دولتنا بغض النظر عن انتماءاتهم الدائنية سيعملون في الدولة بما يتماشى مع قدراتهم وكفاءتهم))).

بها قضايا الزواج والطلاق والميراث وصفقات الأعمال وخلافات الملكية ؛ كما كان كاتب بالعدل خاص بالجماعة اليهودية يصدر صكوكاً وعقود الزواج بالمعايير القانونية اليهودية.

في عهد السلطان محمد الثاني (1808 - 1839) قامت في الدولة العثمانية حركة إصلاحات سياسية واجتماعية، كان من بين مظاهرها قيام السلطات بمنح السكان المسيحيين واليهود حق المساواة مع الآخرين ونيل تأييد القوى الأوربية التي أيدت الدولة العثمانية إبان حربها مع روسية (حرب القرم)[1]. وقد استمر هذا الأمر في عهد السلطان عبد المجيد (1839 - 1861) فألغيت في عام 1855 ضريبة الجزية، ولكنها ألزمت هذه الأقليات بدفع ضريبة "البدل" في مقابل عدم تأديتها للخدمة العسكرية[2]. وأخيراً صدر دستور مدحت باشا 1876 الذي منح تمثيلاً كاملاً للأقليات في البرلمان العثماني[3].

في مجلس إدارة الولاية أعضاء منتخبون عددهم ستة: ثلاثة مسلمون ونصرانيان ويهودي وكان لسياسة التنظيمات في منتصف القرن التاسع عشر التي انتهجتها السلطة العثمانية تجاه غير المسلمين فضل كبير على اليهود، فأتاحت هذه السياسة لهم فرصة استغلال حالة الازدهار، وأتاح حرص اليهود على تعلم اللغات الأجنبية مثل التركية والفرنسية والانكليزية فرصة

---

[1] كالوس ص 53 وفرنافست الجزء الثاني، ص 364

[2] اليهود في البلدان الإسلامية ص 35 وص 56 وص 59 (لم يكن تابعاً من موقف الدين الإسلامي الذي يحض على احترام الأديان السماوية والمؤمنين بها، بقدر ماكان تابعاً من اعتراضهم على بعض الحقوق التي حصل عليها اليهود، ووجدوا فيها مساساً بحقوق ومصالح المسلمين)

[3] المصدر نفسه، ص 59

التوسع في أنشطتهم التجارية، وتولي بعض المناصب القيادية في الدولة[1]. أثار حصول يهود بعض البلدان على حق المساواة سخط رجال الدين لكن الأمورلم تصل إلى الدرجة التي تجعل فقهاء المسلمين يسلبون اليهود حقوق المواطنة[2] لإلغائها نهائياً. لقد اعتبر سكان حلب، منذ البدء، تنوع الجاليات والعروق في مدينتهم أمراً مسلماً به، وإن الاختلافات الدينية تختفي في الروابط الاجتماعية القوية وكذلك في القانون الذي فرض على غير المسلمين أوامر متنوعة ضابطة.

لقد أطلق عليهم طيلة هذه الفترة اسم (أهل الذمة) وكان يحق لهم ممارسة شعائرهم الدينية مقابل الجزية التي كانوا يدفعونها للسلطات التي كانت تتولى حماية ممتلكاتهم، واتسمت علاقة اليهود بالمجتمع المحيط بهم بقدر كبير من الاستقرار. وكان استقرار اليهود في أي بلد من بلدان الشرق يرتبط إلى حد كبير بمدى استقرار السلطة، وبمدى تأثير رجال الدين، وبمدى قرب اليهود من السلطة. وعلى عكس وضع يهود أوروبة الذين اضطهدوا لأسباب سياسية واقتصادية ودينية، فكانوا كثيراً ما يطردون من البلدان التي أقاموا فيها، في حين لم يتعرض يهود بلدان الشرق لنفس المصير[3].

---

[1] المصدر نفسه، ص117

[2] المصدر نفسه، ص15

[3] ماركوس ص80

الفصل السادس

العلاقات الخارجية

لاشك في أن للتجار اليهود، المقيمين في حلب بشكل خاص، علاقات خارجية وثيقة بدأت منذ بداية الألفية الأولى في تاريخ هذه المدينة العريقة التي كانت تعتبر مدينة مفتوحة منذ تكوينها قبل الميلاد بقرون عديدة، مقارنة مع مدن أخرى...

تعود أسباب هذه العلاقات لأمور كثيرة، أهمها:

1. موقع حلب الاستراتيجي ونشاطها التجاري الكبير في أرجاء العالم القديم.
2. موقعها على طريق الحرير.
3. سكن الجاليات المتعددة فيها لأغراض التجارة، وهذا ما أدى إلى هجرات خاصة إليها.
4. هجرة جاليات يهودية إلى حلب من أنحاء العالم الغربي، ومن المدن الإيطالية خاصة كجنوة والبندقية وبيزة وليفورنيا وغيرها، وأخيراً من إسبانيا أواخر القرن الخامس عشر، وأسبابها معروفة.
5. معرفتهم باللغات الأجنبية حديثاً وكتابة، وحاجة القناصل واستعانة السلطات المحلية بهم للترجمة.

وإن عاملين أساسين دعما هذه العلاقة: الأول: هو القرابة الدينية بين يهود حلب والمهاجرين إليها؛ والثاني: رغبة بعض يهود حلب في العمل التجاري والتجارة الدولية وما يتبعها من الأجور المالية.

إن تاريخ علاقات يهود إيطالية بيهود الدولة العثمانية يعود إلى القرن السادس عشر، وقد شملت هذه العلاقات مجالَي التجارة والاقتصاد[1] وتزايدت في القرنين التاليين وطيلة القرن التاسع عشر[2]. لقد مرت مراحل هذه العلاقة بفترات متعددة؛ فقد بدأت بالصلات التي قامت بين الجاليات الأجنبية وبين اليهود في حلب. وعمل هؤلاء لدى الأجانب كتاباً وتراجمة، ثم شركاء فيما بعد؛ وفي فترة ثانية استفادتهم من الامتيازات التي حصل عليها التجار الأجانب من الدولة العثمانية منذ العام 1535 فيما يتعلق بالحماية والضرائب، وقد زاد عددهم. وبعد ذلك وحين قويت الصلات، أصبحوا قناصل لدول متعددة، حين لم تعين الدول الأجنبية قناصل من مواطنيها، وهنا زاد عدد اليهود المنتمين للقنصليات الأجنبية وزاد غناهم كثيراً. وأخيراً قامت هجرات من أغنياء يهود حلب إلى الخارج، وقبل أن تظهر مشكلة إسرائيل، خاصة وأن بعض يهود حلب كانوا يحملون جنسيات أجنبية إلى جانب جنسيتهم المحلية، وعرف عن يهود حلب علاقاتهم مع أوروبة الغربية حتى قيام الحزب النازي في ألمانية[3].

---

[1] نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل الغزي، الطبعة الثانية 1991، ص 162

[2] اليهود في البلدان الإسلامية ص 33 و 234

[3] كالوس ص 63

لقد كان أول مترجم في عام 1680 للقنصل الفرنسي الأول في حلب يهودياً[1]، وقد استمر أعمال أقرانه بالترجمة، والنادر من الأجانب من يتكلم العربية سوى بعض القناصل الهولنديين الذين تعلموا العربية قبل مجيئهم إلى حلب، وهؤلاء يمكن أن نطلق عليهم مستعربين، والاستشراق لم يكن قد انتشر بعد لدى القناصل الأجانب، سوى لدى القلة التي كانت تفتش عن المخطوطات العربية بتكليف من جامعات بلادها، لهذا كان القناصل والتجار الأجانب بحاجة إلى التراجمة اليهود.

يضاف إلى ذلك أن عدداً وافراً من اليهود المهاجرين إلى حلب لم يستقروا حيث استقر اليهود من أهالي حلب في الأحياء، فقد سكنوا في الخانات[2]، حيث تسكن الجاليات الأجنبية، وإلى جوارهم، فتوطدت العلاقات بينهم وتمتعوا بامتيازاتهم، واستمروا بسكنى الخانات حين أصبحوا قناصل لدول أجنبية متعددة، حتى عام 1822 حين غادر الأجانب الخانات بعد الزلزال الكبير الذي أصاب حلب، والسماح لهم بمغادرتها من قبل السلطان العثماني محمود الثاني، وقد عمل بعضهم في الترجمة كما عمل البعض الآخر في التجارة. ويمكن أن نعيد ثروات معظمهم إلى العلاقات مع التجار الأجانب، فضلاً عن علاقاتهم مع يهود البلاد التي جاؤوا منها[3].

إن معظم اليهود القادمين كانوا من البندقية وتوسكانا وليفورنيا المدن الإيطالية ذات الأساطيل البحرية التجارية الكبيرة، وقد كانت لهم وكالات

---

[1] سوفاجية الحاشية رقم 763

[2] سوفاجية ص 207

[3] المصدر السابق، ص 257

تجارية فضلاً عن علاقاتهم مع البيوت التجارية في الخانات[1]، وسرعان ما تأقلموا مع العادات المحلية وانتقل بعضهم إلى السكن في الحي اليهودي في الجميلية حين ظهر في منتصف القرن العشرين، وفي أحياء الجميلية والإسماعيلية والصليبة الصغرى.

من العائلات اليهودية الوافدة: بيجوتو وسيلفيرا وكبايا. وقد حفل سجل الرعايا الأجانب الإيطاليين الموجود في القنصلية الإيطالية بحلب بأسمائهم، بعضهم سكن في خان الجمرك وآخرون سكنوا في خان النحاسين[2]. وفي خان الجمرك بلغ عدد المستأجرين اليهود 52 مستأجراً يهودياً من ثماني عشرة عائلة يهودية، استأجرت 38 مقسماً من الخان، بينما بلغ عدد مقاسم المستأجرين المسلمين 29 مقسماً والمستأجرين المسيحيين 25 مقسماً[3]. كان المستأجرون اليهود من عائلات: آل سيلفيرا ولهم ثمانية مقاسم، ثم آل شماع ولهم سبعة مقاسم، ثم آل استانبولي ولهم خمسة مقاسم، ثم آل كباية ولهم خمسة مقاسم.

ليس من المستغرب أن نذكر يهود حلب في بداية القرن الثامن عشر، وحين غاب التجار الهولنديون عن مسرح التجارة مع حلب، قاموا هم بالتجارة مع هولندا بالاشتراك مع اليونانيين والأرمن[4]، وإن بعضهم أصبح قناصل

---

[1] مجلة الحوليات الأثرية، المجلد الثالث، والأربعون 1999، ص 349 مقال خان كلود دافيد، تعريب غادة الحسين

[2] المصدر السابق نفس الصفحة

[3] أسواق المدينة، د. محمود حريتاني، دار النشر شماع، الطبعة الأولى 2006، ص 54

[4] العلاقات بين هولندا وسوريا العثمانية، حسين المدرس وأوليفية سالون بالفرنسية، منشورات خاصة 2007، ص 66

للدول الأجنبية حين عينت هولندا صموئيل بيجوتو قنصلاً لها في حلب. هذا ولا ننسى في العلاقات الخارجية، اطلاع يهود حلب على الثورة الصناعية التي قامت في أوروبة وأثرها على التجارة الدولية.

عمل اليهود بالتجارة في حلب، رغم جنسياتهم الأجنبية منهم: فريدة بنت روفائيل ليفي استانبولي وكانت ايطالية، ثم موسى بن هليل بيجوتو وهو إيطالي أيضاً وكذلك روفائيل بن عزرا بيجوتو، أما ساسون بن رومين كباية فهو انكليزي وسالم بن إبراهيم ديان إيراني وغيرهم.

إن علاقات يهود حلب بالجاليات الأجنبية، لم تكن للتجارة فقط، بل للتمتع بامتيازاتهم وحمايتهم[1]، والإعفاء من الضرائب، وخاصة ضريبة الرؤوس. ويحدث أحياناً أن تتغير الحماية من قنصل إلى آخر. وإذ لم تتوفر الحماية يعود اليهودي ذمياً وتحت رعاية الدولة العثمانية، أو يختفي في بيته، أو يدفع رشوة كبيرة إذا خرج من بيته[2].

قد لا نستغرب الصلة التي توطدت بين القناصل ويهود حلب، وتدل الحادثة التالية التي أوردها المرحوم أدولف بوخة قنصل بلجيكا الفخري الأسبق في محاضرة له[3] نقلاً عن ش ز، وفي كتابه موانئ التجارة في المشرق، ص 49. فقال: ((بمناسبة وصول القنصل الفرنسي الجديد، أراسي، إلى

---

[1] حوادث حلب اليومية، تحقيق وتقديم فواز محمود الفواز، نشر دار شعاع، الطبعة الأولى عام 2006، ص 190

[2] المصدر السابق، ص 9.

[3] ألقى المحاضرة بالفرنسية المرحوم أدولف بوخة في مطلع سبعينات القرن العشرين، في المركز الثقافي بحلب ص 14 و15

حلب في عام 1743 ، وصدف أنه سيدخل حلب يوم السبت وسيجري له احتفال بذلك إعلاناً بمجيئه، فقد رجاه المقيمون الفرنسيون في المدينة أن يؤجل دخوله إلى ما بعد يوم السبت، فالقانون اليهودي يمنع اليهود من ركوب الخيل يوم السبت...))

لقد تجاوزت العلاقات بين يهود حلب والجاليات الأجنبية الأعمال في المدينة نفسها؛ إذ كان يهود المدن الأخرى في الدولة العثمانية لهم نصيب في العلاقات أيضاً، فإن أكثر تجار عينتاب من اليهود، دأبوا على إرسال قطن لفرنسا من نوعية جيدة ومن بين 35 تاجراً من عينتاب كان عشرون منهم يهودياً، وفي عام 1810 وجدت في الوثائق الفرنسية ست وخمسون صفقة تجارية ثمان وعشرون منها لليهود[1].

لقد تعلم التجار الانكليز عملية الإقراض بالفائدة من اليهود. ويذكر الطبيب الإنكليزي الكسندر رسل مؤلف كتاب تاريخ حلب الطبيعي أنه يقوم بذلك[2].

كان اليهود يزورون بيت المقدس للقيام بمناسك الحج، ولكن هذه العادة لم تنتشر كثيراً ولدى جميع اليهود، فبعضهم فقراء، والآخرون تجار[3] لكنهم كانوا يدعمون مالياً الأعمال في الأرض المقدسة[4].

لقد تبين مما تقدم تفاصيل الصلات الوثيقة بين اليهود والتجار والتراجمة والكتبة الحلبيين والمهاجرين إلى حلب من اليهود الأجانب، وبين الجاليات

---

[1] سوفاجية الحاشية رقم 772.

[2] ملركوس ص 190

[3] رسل ص 258

[4] ملركوس، ص 55.

الأجنبية؛ وقد أدت هذه الصلات الخارجية، وغياب بعض القناصل الأجانب بعدم تعين من قبل دولهم، إلى أن لجأت الدول الأجنبية؛ إلى تعيين يهود من حلب، خاصة وأنهم يحملون جنسيات أجنبية إضافة إلى جنسيتهم في الدولة العثمانية، وفي سورية فيما بعد. فقد أصدر إمبراطور النمسا جوزيف الثاني أمره بتعيين روفائيل بيجوتو قنصلاً للنمسا في حلب عام 1784 - وخلفه إيزدرا بيجوتو من عام 1788 حتى عام 1845[1]. كما عين آل كباية وهي عائلة يهودية من أصل هندي وجنسية انكليزية قناصل فخريين لإيران، وقد أقاموا في خان النحاسين. أما في خان القصابية فإن عائلة بيجوتو اليهودية كانت ترعى القنصلية السويدية والدنمركية والنرويجية، وإن روفائيل بيجوتو كان قنصلاً للنمسا[2] كما أن هذه العائلة كان منها قناصل لهولندا[3]. إن هذه العلاقات الدولية أورثت يهود حلب ميراثاً ضخماً مالياً وعلاقات خارجية كبيرة، وأدت إلى تكديس الثروات في أيديهم فترة من الزمن.

في العصر الحديث زادت قوة العلاقات بين يهود المشرق ويهود أوروبة الذين كان بمقدورهم تقديم يد المساعدة لإخوانهم يهود الشرق بفضل وضعهم القانوني الجيد وأوضاعهم الاقتصادية والثقافية[4]. حتى وصل اطلاع يهود الغرب على يهود الشرق ومشكلاتهم وخاصة سن الزواج المبكرة[5]، وتعليم

---

[1] العلاقات الهولندية الحلبية، حسين مدرس وأولينية سالمون، منشورات خاصة 2007، ص 66

[2] محمود حمد ثاني، أسواق المدينة، ص 53

[3] محمود حمد ثاني، أسواق المدينة، ص 53

[4] اليهود في البلدان الإسلامية، ص 11

[5] المصدر السابق، ص 11

أولاد اليهود في المدارس الأجنبية، وخاصة الإيطالية، وانتقل البعض منهم للخارج لتلقي تعليمه بالجامعات الأوروبية[1].

[1] المصدر السابق.. ص216.

الفصل السابع

الصرافة والأعمال المصرفية والترجمة والجمارك

اهتم يهود حلب بالدرجة الأولى بالصرافة والأعمال المصرفية، وخاصة الأغنياء منهم، كغيرهم من غالبية يهود العالم؛ وقد نقلوها من أوروبة لعلاقاتهم الوثيقة بها. ويعود اهتمامهم هذا إلى عوامل كثيرة أهمها:

1. علاقاتهم الخارجية تجارياً. وهذه أدت إلى تعاملهم بالعملات الأجنبية كما سنرى في هذا البحث. ثم تحويلها إلى العملات المحلية.
2. رغبتهم في العمل بالأمور المالية، وابتعاد أغنيائهم عن الملكية والتملك.
3. استثمار الأموال في علاقاتهم مع الآخرين وتأكيد هويتهم الاجتماعية ومكانتهم في المجتمع.
4. عمل اليهود التجاري، أحياناً لحساب البيوتات التجارية الأجنبية[1]، ولكبار التجار المسلمين[2].

---

[1] نهر الذهب في تاريخ حلب. كامل الغزي. الطبعة الثانية 1991 ص 152

[2] سوفاجية ص 200 والحاشية رقم 700 وموسوعة الأسد المجلد السادس ص 440

5. إبان حكم المماليك، شغل اليهود العديد من المناصب الهامة وخاصة الاقتصاد، وكان كبير الصرافين عادة من اليهود، كما كان شيخ الطائفة اليهودية يشغل عامة هذا المنصب، وكان اليهود يتولون أيضاً مسؤولية إدارة بيت المال، فكان الحكام يحرصون على تولية اليهود مهمة الإشراف على الشؤون المالية لما عرف عنهم من خبرة في هذا المجال[1].

ومن المتصور أيضاً أن اشتغال اليهود بالصرافة واطلاعهم الواسع على العلوم الحديثة، أتاح لهم فرصة المساهمة في تطوير نظام المصارف. ورغم أن نظام المصارف الحديث أضر باليهود الذين عملوا بالصرافة، إلا أنه أتاح لهم فرصة التغيير من نظامهم التقليدي في الصرافة. وفرصة إقامة بعض المصارف اليهودية وهي المصارف التي أصبحت من أبرز المؤسسات المالية في الشرق[2].

لقد رأينا أعداداً من يهود إيطاليا، ومن ليفورنيا، بشكل خاص، هاجرت إلى حلب، وأقام بعضها في الخانات إلى جانب الجاليات الأجنبية، وقد ساعد ذلك على نشاط تجاري كبير، إذ ساهمت مراكب من ليفورنيا في نقل التجارة بين البلدين، وأحياناً كانت تعمل لحساب اليهود في حلب بشكل خاص الذين يقومون بأعمال تجارية للوكالات الأجنبية، وكذلك للتجار الحلبيين، فضلاً عن علاقات مع يهود اسبانية والبرتغال وسالونيك ومراكش الذين أطلق عليهم تسمية ((يهود المسيحية)) بالنسبة للأجانب، و((يهود الفرنجة)) بالنسبة للعرب. وفي رحلة الأب فيليب إلى الشرق 1622

---

[1] اليهود في البلدان الإسلامية. ص 51

[2] المصدر نفسه. ص 35

يذكر: ((وكان الكمرك[1] إذ ذاك في أيدي اليهود، وهم يتقاضون عنه الأموال الوافرة لحساب الحاكم)).

عائلة يهودية، وإلى اليمين "المنجّد" الذي يعمل في (نفش) الصوف

ويضيف الأسدي: وإقامتهم في خان الجمرك لأخذ الرسوم الجمركية عن البضائع لحساب الحكومة حسب تعهدهم، ولهم في خان الجمرك محلات كثيرة[2]. هكذا أصبح بعض يهود حلب أغنياء، وكان عليهم إتقان التعامل بالعملات الأجنبية وتحويلها.. وبالتجارة الدولية، وقد أوضحت الوثائق في أحد عقود بيع القطن من عينتاب إلى التجار الفرنسيين، خمسة وثلاثين توقيعاً، عشرون منها لتجار اليهود. وفي عام 1810، سجلت خمس وستون صفقة تجارية في قنصلية فرنسا في حلب، كان ثمان وعشرون منها لليهود، أرسلت إلى فرنسا وإيطاليا.

---

[1] سوفاجية ص 206، والحاشية رقم 766 وموسوعة الأسدي المجلد السادس، ص 446.

[2] سوفاجية ص 206، والحاشية رقم 766 وموسوعة الأسدي المجلد السادس، ص 446.

إن استقراض النقود، أمر شائع، في كل الأماكن والأزمان، وقد كان هذا يجري في حلب، اعتماداً على مصادر خاصة، لأن الحكومة لم تقدم ديوناً لتمويل الاستثمار التجاري، فقد كانت العائلة تقدم مصدراً هاماً للتمويل، لكن هذا لم يسد الحاجة إلى الدين، وإن غياب المصارف ومؤسسات الائتمان، ترك المجال مفتوحاً للاستفادة من القروض[1] وهكذا عمل الصرافون المحترفون، وكانت غالبيتهم من اليهود، كأصحاب مصارف، يأخذون الودائع، ويجرون الحوالات ويقرضون المال[2]، حتى إن بعض المدخرين يودعون أموالهم معهم مقابل فائدة.

لقد انتشر عمل الصرافين اليهود حول العالم، بتحويل تجارة عالمية[3]. وكان التجار المحليون والأوربيون خلالهم يقدمون الدفعات ويستلمونها، وحتى مكتب الحاكم والمحكمة الشرعية، كل واحد يستخدم صرافاً يهودياً[4]. وعندما هرب الصرافون من المدينة عام 1775 خوفاً من ابتزاز علي باشا الجشع، كان التجار غير قادرين على تحويل الأموال من حساباتهم، وتباطأ نشاطهم التجاري[5]، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى أهمية أعمال اليهود للمسؤولين العثمانيين وللحركة التجارية عامة.ويعرف الأسدي صرافاً يهودياً أعمى كان في سوق الصرافين في مدخل خان الجمرك[6].

---

[1] المصدر نفسه ص 53.

[2] ماركوس ص188 وموسوعة الأسدي المجلد الخامس ص 129

[3] المصدر نفسه ص 190

[4] الغزي الجزء الثالث ص247

[5] ماركوس ص 188 وموسوعة الأسدي المجلد الخامس ص 129

[6] موسوعة الأسدي المجلد السادس ص 446

لقد وجد التجار الانكليز، كمصارف فانشغلوا بصورة مكثفة بالإقراض للتجار والموظفين المحليين[1] وإن الدكتور الكسندر رسل، وهو طبيب مقيم لدى مجتمع التجار الانكليز في حلب، يكتب أنه حين غادر حلب في بداية خمسينيات القرن الثامن عشر، كان معه من البضائع ما يساوي 60.000 قرشاً كان قد جمعها، كما نوه ((عن طريق ممارسة مهنتي، ومن فائدة الأموال[2])).

لقد وصل عمل اليهود المالي، أن اؤتمنوا على أموال الناس، ودائع لديهم، وقد أورد الشيخ كامل البالي الشهير بالغزي في حديثه عن حلب أن الجنود الانكشاريين (اليكجرية)، حين تعرضوا لبطش والي حلب في عام 1813 ((أخفوا ما كان عندهم من الحلي والأمتعة الثمينة عند التجار الأجانب وقناصل اليهود[3]...)).

سارت الأمور في مدينة حلب القديمة على هذا المنوال، إلى أن أنشأت الدولة العثمانية المصرف العثماني في قلب أسواق المدينة، في سوق خان الجمرك، بالقرب من الخان، رغم استمرار اليهود في الخان المذكور وقربه بأعمالهم.

إلى جانب المصارف وُجِدَ المرابون وثلاثة عشر صرافاً أغلبهم من اليهود والمسيحيين وبعض المسلمين[4]. وقد وصل عددهم في عام 1980 إلى ستة

---

[1] ماركوس ص 190

[2] ماركوس ص 190

[3] الغزي الجزء الثالث ص 247

[4] أسواق المدينة د. حبتاني ص 44

وستين صرافاً[1]. وفي بداية عام 1928 ، ومع الانتداب الفرنسي 1920 نشأت ثمانية مصارف محلية وأجنبية في الخانات الكبرى. وفي سوق الجمرك، وإلى جانبهم ثلاثة عشر صرافاً وجدوا في سوق الجمرك أيضاً، وأغلبهم من اليهود[2]. وقد عدَّدَ بول بوران الذي أصدر كتابه بالفرنسية في عام 1930 عن حلب، عدة مصارف رسمية وخاصة[3].

لقد سيطرت الطبقة العليا من اليهود في حلب بعملها في التجارة والمصارف على المراكز التجارية الدولية الكائنة في أسواق المدينة، وخاصة في خان الجمرك[4].

من أول مصارف اليهود الخاصة في حلب في أوائل القرن التاسع عشر مصارف أنشأها؛ رحمونحماد وبيضا، وموسى جمال وبيجوتو ويعقوب صفرا[5]، وكانت هذه المصارف ناشطة، وقد توسعت بردفها بالشباب اليهود الذين عملوا فيها كمتدربين على أعمال التجارة والصرافة.

يضاف إلى ذلك أعمال السمسرة والمضاربة على الأسعار، وهم من اليهود أيضاً وعلى رأسهم موسى جمال الذي عمل أيضاً في تجارة استيراد الأقمشة من اليابان[6].

---

[1] أسواق المدينة د. حنا بتلاني ص 44.

[2] أسواق المدينة د. حنا بتلاني ص 44

[3] بول بوران ص 248

[4] أسواق المدينة د. حنا بتلاني ص 55

[5] كالوس ص 16.

[6] كالوس ص 25.

في نهاية البحث ، يجدر أن نورد مقارنة بين يهود انكليز جاؤوا مع الاحتلال الانكليزي إلى مصر وعملوا في الصناعة وحققوا ازدهاراً كبيراً، وبين يهود دمشق الذين مارسوا صناعة النحاس والحفر على الخشب. أما يهود حلب فقد ابتعدوا عن الصناعة ومارسوا التجارة والصرافة فقط ، والطبقة الفقيرة منهم مارست تجارة المواد الغذائية[1].

[1] المصدر نفسه ص 44.

الفصل الثامن

الحياة اللقتصادية

التجارة والمهن والشراكة مع الآخرين

عمل السكان اليهود في حلب كغيرهم، في أكثر المهن والصناعات، بغية طلب الرزق والعيش. ولكن وضعهم كطائفة خاصة، وكطبقة اجتماعية، اختصوا ببعض الأعمال، وابتعدوا عن بعضها الآخر، ولفقر بعضهم عملوا أعمالاً ابتعد عنها الآخرون. كما كانت لهم شراكة مع غيرهم من المسلمين والمسيحيين. ويمكننا القول، إن أكثر اهتمامهم انصب على التجارة. فقد برعوا في التجارة الخارجية، لعلاقاتهم الدولية، وارتباط بعضهم بالسلك القنصلي فضلاً عن كونهم هم قناصل، ثم علاقاتهم بمواطنيهم في الخارج، كما رأينا، وإن بعضهم جاء مهاجراً من الخارج. وأخيراً لا ننس براعتهم في تعلم اللغات الأجنبية، وحين غادر القناصل الأجانب وتجارهم حلوا محلهم في النشاط التجاري الخارجي.

ثم في التجارة الداخلية برعوا فيما يعرف ((بالبيع لوعدة الاستحقاق))[1]، أي لمدة ثلاثة شهور أي أن المشتري، يحمل بضاعته دون أن يدفع ثمنها، ثم يوفي دينه بعد أن يكون قد باع البضاعة أو كاد، وقد حدثني ابن أحد

---

[1] نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل الغزي، الطبعة الثانية 1991، ص 152

التجار وكان والده يشتري القماش من تاجر يهودي في خان الجمرك و"لوعدة" وقد رفض هذا التاجر أن يبيع بضاعته لآخر بثمن مدفوع وأعلى، سبب الرفض كما قال البائع إن هذا المشتري قد يعيد البضاعة يوماً ... إن الكثير من هذه الأعمال التجارية وكذلك من التجارة اليومية تدار على أساس الدين، فالكثير من الحرفيين التجار يؤجلون بصورة اعتيادية دفع قيمة المواد الخام والبضائع التي يشترونها، ثم يعودون لدفع ديونهم من عائدات بيعها؛ بهذه الطريقة كانوا قادرين على الامتداد إلى ما وراء حدود نقدهم المتوفر، ثم أيضاً بتقديم التمويل لنشاطاتهم التجارية برأسمال مستقرض.

لم يعرف عن اليهود أنهم اهتموا بالصناعة، بل أهملوها وفضلوا الاستيراد من اليابان، حتى القماش الخام الذي كان متوفراً في حلب قطناً ونسيجاً؛ فقد اختص موسى جمال من كبار تجار خان الجمرك باستيراد قماش ((القطة والبرنيطة من اليابان وكذلك قماش الشيت أو الجيت[1] كما هو معروف، وهو نسيج قطني موشىً اختص اليهود ببيعه، وأكثر معامل قماش الجيت يهودية في انكلترا[2]. فضلاً عن أنهم كانوا يفضلون أعمال السمسرة في البيع والشراء (الكوميسيون).

إن حي سويقة علي الذي عرف يوماً بـ"سويقة اليهود"[3]، قد لعب فيه التجار اليهود دوراً كبيراً، وكانوا الأوائل مع الأرمن والمسيحيين في استيراد

---

[1] كالوس ص 24

[2] سويقة علي بالفرنسية، تأليف جان كلود دافيد و محمود حديثاني ورفاقهما، من منشورات المعهد الفرنسي بدمشق 1998، ص 86 وموسوعة الأسلامي المجلد الرابع ص 424.

[3] سويقة علي بالفرنسية، تأليف جان كلود دافيد و محمود حديثاني ورفاقهما، من منشورات المعهد الفرنسي بدمشق 1998، ص 86 وموسوعة الأسلامي المجلد الرابع ص 424.

الأدوات المنزلية الأوربية وبيعها في هذه السويقة، ومن كبار تجار السويقة هنري كندي وإسحاق سويد وفيتورب اشكنازي في خان حاج موسى الأعوج، كما كان لليهود سوق الخميس ويعقد كل يوم خميس لحاجات اليهود ومحله بندرة الإسلام[1]. كما كان عطارو خان خاير بك أو خان العلبية أو خان الجمرك يهوداً[2].

لقد ورد في عدة وثائق مؤرخة في عام 1698 و1699، تسمية اليهود في حلب بـ"يهود المسيحية"، ولدى المؤرخين العرب بـ"يهود الفرنج"[3]. وأكثر من ذلك عرف يهود حلب بوكلاء حصريين للتجارة الدولية[4].

في الأعمال التجارية بصورة عامة ومع اليهود بصورة خاصة، قامت مشروعات مشتركة بين المسلمين والمسيحيين واليهود، وإن الفوارق في العلاقات الدينية لم تقف حائلاً في طريق وثوق العلاقات والمشروعات العامة بين التجار[5]؛ وقد ذكر الغزي أن في حي الجميلية: ((خان جارٍ في تصرف بيت نحمات أحد وجهاء اليهود وهو خان كبير اشتمل على أروقة عظيمة ومخازن واسعة وسماوي فسيح، كان بناؤه سنة 1300 هـ وكان

---

1 سويقة علي بالفرنسية، تأليف خان كلود دافيد و محمود حديثاني ورفاقهما، من منشورات المعهد الفرنسي بدمشق 1998، ص 86 وموسوعة الأسلامي المجلد الرابع ص 424.

2 سويقة علي بالفرنسية، تأليف خان كلود دافيد و محمود حديثاني ورفاقهما، من منشورات المعهد الفرنسي بدمشق 1998، ص 86 وموسوعة الأسلامي المجلد الرابع ص 424.

3 سوفاجية ص 207 الحاشية 771

4 سوفاجية ص 207 الحاشية 771

5 ماركوس ص 187

مشتركاً بين (حسام الدين أفندي القدسي) وبين الخواجة عزرا نحمات، ثم اختص به عزرا وحده))[1].

شارك يهود حلب في كثير من الأعمال كغيرهم من المسلمين والمسيحيين، عدا بعضها، لأسباب خاصة، أو أسباب دينية:

عملوا مع غيرهم في صناعة الأحذية وفي النسيج، وقد جاؤوا في عام 1873 بآلة لصنع الغزل، كما صنعوا الألبسة الجاهزة وكانوا خياطين، وفي الصياغة تذويب الذهب المستعمل ثم صياغته من جديد لحسابهم وحساب الآخرين، وبرعوا في تشذيب الألماس وصياغة الفضة واللآلئ، واحتفظوا بأسرار هذه الصناعة. وأصلحوا الساعات، وقولبوا الطرابيش، وعملوا في لحام الصفائح المعدنية، كما صنعوا الصابون، وكان منهم عطارون في سوق العطارين. ولكن المسلمين لايشترون منهم حلوياتهم لموضوع الطهارة[2].

كان منهم ثلاثة عشر سمساراً لبيع النحاس[3]. كما اختصوا بصناعة العرق والنبيذ[4] حتى إن اليهود قد جندوا أواخر الحرب العالمية الأولى في 1918[5].

وقاموا بالتعليم، وبيع وشراء ممتلكات زراعية وتجارية[6]، ومارسوا الطب ولكنهم ابتعدوا عن الجراحة[7]. كما لم يعملوا في الصحافة، ولكنهم عملوا

---

[1] الغزي الجزء الثاني ص 247

[2] ماركوس ص 264

[3] ماركوس ص 264

[4] الغزي، الجزء الأول، ص 6 و10

[5] الغزي، الجزء الثالث، ص 402

[6] ماركوس ص 195

[7] رسل، ص 284 وماركوس ص 56

بالمواد الغذائية[1]؛ وكانوا ينتمون إلى نقابات الحرف والتجارة التي كانت تنظم الكثير من القوى العاملة ويجتمعون تحت سقف واحد كذميين[2].

اختص اليهود ببعض الأعمال، وكانت لهم فيها نقابات خاصة بهم، فالجزارون الذين يبيعون اللحوم لليهود يقومون بالذبح بطريقتهم الخاصة من الوريد إلى الوريد دفعة واحدة، ويقوم حاخاماتهم بأنفسهم بذبح الدجاج ليتأكدوا من سلامته من الأمراض ويرمون بالمريض منها[3]. والغريب أنهم برعوا في التنجيم وعرفوا به، وما يزال البعض يذكر عزرا كوهين المنجم؛ ولكنهم في الوقت نفسه يؤمنون أكثر من غيرهم من السكان المحليين الآخرين بوجود العين الشريرة وتأثيرها في تفشي الأمراض.

كما اختصوا بصناعة الجبن بطريقة خاصة[4]. واعتاد أهالي حلب تذوق الجبن اليهودي بطعمه وأشكاله وتمونه في بيوتهم، كما اختصوا بتقطير العرق والنبيذ وبيعه وتقديمه[5]، واختصت بعض نسائهم في العمل في الحمامات لخدمة النساء (قيّمات)[6] وخادمات لدى الأسر الغنية[7]، وكذلك سماسرة غرام وحب؛ فإذا أرادت النساء إقامة علاقات غرامية فيتم ذلك عادة بواسطة امرأة يهودية. ولكن، كما يقول دارفيو في مذكراته في المجلد السادس ص 422،

---

[1] كالوس ص 44 و ص 85 و ص 30 ورسل ص 256

[2] كالوس ص 44 و ص 85 و ص 30 ورسل ص 256

[3] كالوس ص 44 و ص 85 و ص 30 ورسل ص 256

[4] كالوس 21 و 30

[5] الغزي الجزء الأول 96

[6] رسل ص 100

[7] ماركوس ص 125

(الويل للطرفين إذا ما انكشف أمرهما[1])، وذكر المطران أردافست: "اليهوديات يساعدن للقاء العشاق في الأزقة المسدودة، لكن لقاء العاشقين في دكاكين اليهود في القسطنطينية الواسعة، وليس في حلب حيث الدكاكين ضيقة[2]."

لقد كانت تجارة الرقيق لدى اليهود مباحة، فكان منهم النخاس (تاجر الرقيق) والباسرجي أي القواد، وبرع اليهود في هذا السوق، فقد كانت بحسيتا مركز الرقيق الأبيض يؤمه الشباب لقضاء سويعات مع حسناء يهودية بأجر باهظ[3]، وفي دمشق كذلك كان للرقيق الأبيض اليهودي سوق في حي الجمرك الجنوبي الغربي؛ وقد اشتهر هذا الحي بإيواء أجمل الفتيات اللواتي يبعن أجسادهن، وكن من اليهود أو من اللواتي استقدمن لهذا الحي للارتزاق[4]. عمل قد يُكَلَّفُ اليهود به؟! لقد أورد الأخوان رسل في كتابهما: "يحمل المجرم إلى السوق ويشنق في أول بقعة ملائمة. ويكون منَفِّذ حكم الإعدام عادة أرمنياً. وليس من المستبعد أن يقوم الجنود وهم في طريقهم إلى مكان الإعدام، إذا صادفوا في طريقهم يهودياً أو مسيحياً، أن يبتزوا منه مالاً زاعمين أنهم سيرغمونه على تنفيذ عملية الشنق[5]".

نذكّر في هذا البحث باختصاص شبه خاص بيهود حلب؛ فقد كان بين اليهود مطربون وعلزفون، وقد كانوا من عشاق الطرب والغناء والعزف على شتى

---

[1] ملركوس ص 125

[2] رسل ص 167 الحاشية رقم 2، وأردافست، المجلد الأول ص 273

[3] كالوس ص 91

[4] المصدر السابق ص 92

[5] رسل ص 497

أنواع الآلات الموسيقية. برع في هذا المجال الشقيقان غزالة، فقد كانا يجيدان العزف على القانون والرق، وأن موسى الحلبي اختير من ضباط الإيقاع المشهورين في العالم العربي، كما كان زكي مراد من أشهر العازفين على العود، وإيلياهو أصلان مطرب نادي اليهود الاجتماعي والرياضي[1] الذي أجاد أداء الموشحات الأندلسية والقدود الحلبية، وقد نوه مؤرخ دمشقي في عام 1744 أن ثلاثة يهود من حلب موسيقيون خبراء، هم في دمشق يؤدون فنونهم ويمتعون ويسلون أكابر الناس وعامتهم[2].

أما ليلى مراد ابنة زكي مراد فقد عرفت في حلب، ثم مصر واكتسبت شهرة واسعة في عالم الفن[3]، وكذلك بديعة مصابني التي أشهرت إسلامها وهاجرت إلى مصر، واحتلت مكانة كبيرة وأسست مدرسة للرقص الشرقي[4].

لم تكن مهنة الرقص والموسيقى والغناء، إلا بيدي أشخاص من الطبقة الدنيا فقط من اليهود، وهؤلاء عملوا أيضاً باعة جوالين أو كماسحي أحذية أو كحاملين للمياه، وعمل العديد منهم كأصحاب بقاليات وفي ورش إصلاح السيارات أو في إصلاح الساعات والأحذية. وفي تجارة الجلود والملابس والكتب.

استمر اليهود في حلب في أعمالهم التي ذكرناها منذ القرن الخامس عشر وما بعده، وقد رأينا أعمالهم، بشكل خاص، كوسطاء وفي الأسواق المالية، وكعملاء في مجال التجارتين الداخلية والخارجية فضلاً عن العمل في العديد

---

[1] كالوس. ص 44 وماركوس. ص 56

[2] كالوس. ص 44 وماركوس. ص 56

[3] كالوس ص 20

[4] المصدر السابق ص 45 وموسوعة الأسلاف المجلد السادس. ص 469

من المهن الأخرى، ومنها النسيج. وإن بعض أبناء الطبقة العليا من المجتمع اليهودي الذين كانوا من المقربين إلى رجال السلطة في القرن الثامن عشر، عملوا إما كمستشارين أو أطباء في أوساط الدوائر الحاكمة[1].

لكن مع تزايد تأثير القوى العظمى الأوروبية في شؤون الدولة العثمانية، منذ نهايات القرن الثالث عشر، تزايد أيضاً نشاط المسيحيين في مجال الاقتصاد، فسيطروا على مجال التجارتين الخارجية والداخلية ومجال المعاملات المالية وبعض الصناعات التي اعتاد اليهود الاشتغال بها[2]. وقد ذكر مصدر يهودي فقال: ((تدهورت أوضاع المشتغلين بصناعة وتجارة المنسوجات... ودخل بعض الغرباء إلى هذه المهنة، وهذا هو سبب تدهور أوضاعنا، فقد اشتغلنا بهذه المهنة منذ زمن طويل ولم يدخل أي غريب هذا المجال... ولكن العماليق (الأرمن) دخلوا هذا المجال، وتزايد عدد العاملين منهم في هذا المجال يوماً بعد يوم، خاصة بعد أن ازدادت أموالهم وأصبحوا يحتكرون هذه الصناعة[3])).

عمل يهود المدن في حلب وشمال سورية في تجارة النسيج الذي يُستورد من حلب، وعملوا أيضاً في صناعة الصابون، أما الأثرياء فقد عملوا أيضاً بالوساطة بين الفلاحين أصحاب الأراضي والمواشي وبين تجار المدينة[4].

---

[1] اليهود في البلدان الإسلامية، ص 179 و180

[2] اليهود في البلدان الإسلامية، ص 179 و180

[3] اليهود في البلدان الإسلامية، ص 179 و180

[4] اليهود في البلدان الإسلامية، ص 190 و191

شهدت بدايات القرن العشرين تدهوراً واضحاً في أوضاع اليهود الاقتصادية في سورية، لاسيما أن إغلاق الحدود مع تركية في أعقاب الحرب العالمية الأولى أضر كثيراً بالأوضاع الاقتصادية في حلب. وقد تزايد التدهور الذي طرأ على أوضاعهم الاقتصادية بعد أن تزايدت حدة الصراع اليهودي العربي[1].

لقد رسم الباحث والأديب إبراهيم المالح الذي اشتغل في بدايات القرن العشرين مديراً للمدرسة العبرية في حلب صورة كئيبة للوضعين الاقتصادي والثقافي اللذين سادا. فقد جاء في أحد خطاباته: ((إن معظم يهود حلب فقراء للغاية، وإن معظمهم يشتغلون في إنتاج الأدوات النحاسية والخشبية، إن بعضهم الآخر يشتغل في مجال المنسوجات وصباغة الأقمشة[2])).

الملكية

لم يعرف عن يهود حلب أنهم اهتموا بالتملك، والاحتفاظ بالملكيات، قياساً لاهتمامهم بالتجارة والأعمال المصرفية[3]، كما لم تفدنا الوثائق التاريخية عن ملكياتهم لمساكنهم. ولكن من المألوف ومن التقاليد في حلب أن يسعى الحلبي مهما كانت طائفته إلى تملك مسكنه، ويسعى إلى ذلك جاهداً. فأكثرهم يتمسك بالمثل الحلبي المعروف ((أول الشهر على الأبواب)) ومعنى ذلك يخشى سرعة الزمن ودفع أجار المسكن في مطلع كل شهر.

---

[1] اليهود في البلدان الإسلامية، ص 190 و191

[2] اليهود في البلدان الإسلامية، ص 190 و191

[3] كالوس ص 14.

رغم هذا فقد تبين أن هناك ملكيات متعددة، والأكثر منها عقارات وقفية كانت تحت تصرف اليهود أو عن طريق خاص هو ((الاستبدال))، [استبدال الوقف بوقف آخر، وبناء آخر أو بأرض لها نفس القيمة أو بالمال، أي أن استبدال وقف بالمال كان بمثابة بيع] وتسمى أيضاً باسم "الأجارتين". ولا بد من شرح هذه الناحية:

(نتيجة إهمال الأبنية الوقفية، وهي كما هو معروف، موقوفة وقفاً مؤبداً لا تباع ولا تشرى ولا تورث، بمرور الزمن.. أو نتيجة إهمال نُظّار الأوقاف، أو ضياع أوقافها التي تمدها بأموال الصيانة، تتهدم هذه الأبنية ولا تعود قائمة، ولا ذات فائدة، فتُهمل.

بعد زلزال 1822 الكبير وتهدم الكثير من المباني الوقفية، ولا يمكن ترميمها أو إعادتها لزوال مواردها؛ فقد وجدت طريقة الأجارتين؛ ومعنى هذا، يقوم أحدهم بإصلاح العقار أو إعادة بنائه، فيصبح مالكاً لكل ما قدمه من شجر أو بناء... وتبقى الأرض وقفاً، ويدفع عنها في كل عام ما يعرف بـ "الحكر") تلك كانت أهم ملكيات اليهود في خانات حلب. فضلاً عن ذلك أصدرت الحكومة السورية مرسوماً تشريعياً في 16 أيار 1949 يقضي بحل الأوقاف الذرية وبيعها بالمزاد العلني[1].

وهكذا فقد قام عدد وافر من أغنياء اليهود بالتملك عن طريق الأجارتين لمبانٍ كثيرة وخاصة في الخانات التي سكنوها أو عملوا فيها، كما سيمر معنا. يضاف إلى ذلك تملكهم لمساكنهم التي سكنوها، ولمعابدهم الدينية ومدارسهم...

---

[1] حريتاني. ص55 وموسوعة الأسدي. المجلد السادس. ص206 والمجلد نفسه. ص208.

في أسواق المدينة، وفي خاناتها القديمة، أغلب المحاضر المؤجرة بطريق الأجارتين، كانت إلى اليهود وعددهم خمسون مستأجراً من أصل 747، المالكون هم من اليهود أي بنسبة 9.49% ولعائلات مثل سيلليما، وبيجوتو وكباية و ساسون ودايان و شماع وكوهين وقد كان معظم خان القصابية[1] ملكاً لليهود، وفي غربيه كان يسكن الحاخامباشي، وكانت فيه ملكية عمرانية. وإن تجارة الأقمشة المقصبة فيه كانت لليهود[2]. يضاف إلى ذلك حق التملك الذي أصدرته الدولة العثمانية في 1912، وأعطى هذا الحق للهيئات الأجنبية والهيئات الدينية ؛ وفي عهد الانتداب الفرنسي صدر مرسوم في عام 1927 يؤيد كل ذلك.

عدا عن ملكية اليهود في الخانات القديمة، فقد كانت لهم شراكة مع تجار مسلمين ومسيحيين في بعض المحاضر، وفي أحدها وحين قُسِّم المحضر في عام 1930 إلى 14 قسماً، كان اثنان منها إلى يهود من عائلتي كباية وبيتو. وبين عامي 1943 و1948 انتقلت أغلب الحصص إلى ورثة كباية وشركائه من المسلمين[3] ...

خارج أسواق المدينة، وفي الأحياء السكنية وجدت عدة مدارس حديثة لليهود، ولا بد أنهم أحدثوها أو أحدثتها لهم جمعية الأليانس الفرنسية أو هيئاتهم[4]، وكانت لهم حمام في بستان كافي اليهود بحي الهزازة[5]. وفي محلة سويقة علي، وإلى جانب جامع الحاج موسى الأميري (جامع الخير)

---

[1] حريتاني ص 55 وموسوعة الأسلامي المجلد السادس، ص 206 والمجلد نفسه، ص 208

[2] حريتاني ص 59

[3] حريتاني ص 59

[4] الغزي الجزء الأول، ص 137

[5] الغزي الجزء الأول، ص 255

وبجانب قيساريته، وذكر في كتاب وقف الجامع، محلة بستان اليهود[1]، كما ذكر بستان آخر ضمن البساتين الكثيرة خارج أسوار المدينة، وعرف (ببستان اليهود بخط الحريري ظاهر حلب بالقرب من الحديقة السلطانية فيه غراف [دولاب يحركه حيوان لاستخراج الماء من بئر] وإيوان وبعض حجرات[2]...) وفي حي سويقة علي أيضاً، ذُكر خان الدوه لك (حالياً خان استانبول) في سوق التوكل، وقد جدده في أوائل القرن العشرين أحد أغنياء اليهود[3] (؟).

لدى توسع مدينة حلب خارج الأسوار، وفي محلة الجميلية بشكل خاص، وحيث سكنت أعداد كبيرة من اليهود الذين غادروا الخانات، وبعض أحياء حلب القديمة، تبين أن اليهود، أنشؤوا في هذه المحلة ((كنيساً لهم، وفي خمسة منازل اتخذت كنائس وقتياً يقيمون فيها شعائر دينهم، وفيها منزل مستأجر مستعمل مدرسة))[4]. كما نبه الشيخ الغزي عن خان (ذكرناه سابقاً) جارٍ في تصرف بيت نحمات أحد وجهاء اليهود. وهو خان كبير مشتمل على أروقة عظيمة ومخازن واسعة وسماوي فسيح، كان بناؤه سنة 1300هـ[5]... وقد كان هلّ أو هليل بيجوتو التاجر اليهودي، الليفورني الأصل يتعاطى التجارة في حلب، وهو زعيم أسرة بيجوتو التي تمتعت بغنى وافر مدى الأحقاب، وكانت تملك بستان الشاهبندر (ملاصق لشارع بارون حالياً وهو

---

[1] الغزي، الجزء الثاني، ص139.

[2] الغزي، الجزء الثاني، ص150.

[3] الغزي، الجزء الثاني، ص150.

[4] الغزي، الجزء الثاني، ص247. وموسوعة الأسدي، المجلد الخامس، ص16.

[5] الغزي، الجزء الثاني، ص247. وموسوعة الأسدي، المجلد الخامس، ص16. والشاهبندر كلمة فارسية مركبة تعني فيما تعنيه "شيخ التجار" أيضاً

مرآب بعد أن كان مقهى ومنتزه على مستوى عالٍ) ومقره عند الناعورة (شارع الناعورة بين جدار المتحف الشمالي وساعة باب الفرج، وكان فيه ناعورة تديرها مياه نهر قويق. وتوجد لوحة زيتية قديمة تؤكد ذلك) يجتمع فيه اليهود للصلاة، واشتراه من صاحبه الفارسي الشاهبندر، ويقول الأسدي بل اشترى بعضه[1].

في حي الجميلية كان اليهود يضعون على أبواب دورهم، وهي كثيرة وملكيتها لهم، أنبوباً من التوتياء بداخله كلمات من التلمود، ويحفرون الأنبوب في مكان لا يظهر للملأ، ولكن يحميهم عند الاقتضاء من الغارة عليهم كما كانوا يزعمون[2].

أما في الممتلكات الإيجارية، وتحصيل فوائدها المالية، فقد عمل فيها المترجمون القنصليون وغالبيتهم من اليهود. وفي إحصاء جرى في عامي 1750 و1751، تبين أن اثنين وعشرين شخصاً من أصل 796 كانوا مسيحيين ويهوداً[3].

منذ منتصف ثلاثينات القرن العشرين، بدأ اليهود، يتخلصون من ملكياتهم، وزاد هذا بين عامي 1942 و1946[4]. وبعد عام 1948 توقفت هذه البادرة بسبب الهجرة؛ وإن الحكومة السورية أوقفت أعمال البيع وجميع الأعمال المتعلقة بأملاك اليهود المهاجرين[5].

---

[1] الغزي، الجزء الثاني، ص 247 وموسوعة الأسدي المجلد الخامس، ص 16

[2] كالوس ص 94

[3] ماركوس ص 1945

[4] حبيثاني ص 70

[5] حبيثاني ص 70

في عام 1966 شكلت لجنة جمدت أملاك اليهود، وحولت عائداتها إلى لجنة تتبع وزارة الخارجية[1]. بهذا الشكل جُمِّد جزء من الأملاك العقارية القديمة في أسواق المدينة، وخاصة في الخانات[2]: خان فلكرور، وخان الحرير، وخان القصابية، وخان الحبال، وخان الجمرك، وخان الصابون، وخان الوزير، خان الفرايين، خان النحاسين وغيرها، حتى في بعض المخازن.

ينطبق هذا الأمر على ممتلكات الأجانب يهوداً أو مسيحيين، من أصل أوروبي، واليهود الأجانب ينضمون إلى أخوانهم في الدين من اليهود السوريين[3]...

كانت المقابر اليهودية في حلب في محلتي السليمانية والعزيزية وجبل النهر، وفيما بعد الشيخ مقصود أي على بعد خمسة كيلو مترات من حلب القديمة[4]. وكما هو معروف فقد كان باب النصر يسمى باب اليهود، حيث يخرج منه اليهود من حيهم الرئيسي في بحسيتا وبندرة اليهود وكذلك من الأحياء الأخرى التي سكنوا فيها، لزيارة مقابرهم خارج أسوار المدينة القديمة. لقد دَرَست مقابرهم، وظهرت أحياء سكنية في أماكنها، وتملك الأوقاف أمور تصريفها[5]. وقد أقامت الطائفة دعوى في العام 1951 أمام القضاء المختلط لاسترداد هذه الأراضي، لكن المحامين في حلب رفضوا

---

[1] حريثاني ص 70

[2] حريثاني ص 70.

[3] حريثاني ص 70 و71

[4] كالوس ص 33.

[5] كالوس ص 33.

الدفاع عنها[1]، وبعد مدة دمجت ملكية المقابر بمديرية الأوقاف الإسلامية وأنشئت مكاتب رسمية للإشراف عليها[2].

اليوم لا تزال الحكومة السورية قائمة على حراسة أموال اليهود، وأنشأت صندوقاً خاصاً بها، ووضعت رسوماً لمصلحة فلسطين على استثمارها[3].

[1] كالوس ... ص 35.

[2] كالوس ... ص 35.

[3] كالوس ... ص 51.

الفصل التاسع

الحياة الاجتماعية

علاقات الجوار وأثرها

اتسمت علاقات اليهود بالمجتمع المحيط بهم، طيلة الفترة الواقعة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، بقدر كبير من الاستقرار، وإن التعاليم الإسلامية كانت تلح على الحث على الإحسان للجار، في القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأعمال الصحابة... كما كانت أماكن العمل طيلة هذه الفترة تجمع اليهود بإخوانهم من المسيحيين والمسلمين، وكان أبناء هذه الطوائف يلتقون معاً آنذاك خارج العمل أيضاً، وتجدر الإشارة هنا إلى نتائج الأبحاث الحديثة التي أثبتت أن يهود الدولة العثمانية تأثروا إلى حد كبير بكل فنون المجتمع الإسلامي، كما تسللت بعض مظاهر هذا التأثير إلى عالم الممارسات الدينية اليهودية، وأخذ اليهود في فنونهم العديد من المظاهر الإسلامية والمسيحية التي كانت سائدة في الدولة العثمانية وإيطاليا. وفي حقيقة الأمر، فإن استقرار السلطة العثمانية والأوضاع الاقتصادية، كانا يكفلان دائماً استقرار العلاقات بين اليهود والمجتمع، ومع هذا طرأت إبان القرن التاسع عشر تغييرات ضخمة على علاقات اليهود بالمجتمع[1]. وخاصة

---

[1] نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل الغزي، الطبعة الثانية 1991، ص 152

بتدخل القوى العظمى في الدولة العثمانية وهزائمها العسكرية والأزمات الاقتصادية وحركة الصحوة القومية التي نشأت في أوساط الإثنيات والقوميات المختلفة؛ وقد أدى ذلك إلى صراع طائفي نشب بين المسلمين والمسيحيين، حتى اليهود الذين كانوا يحظون بعطف السلطات العثمانية، فإنهم تعرضوا لاضطهادات عديدة من قبل المسيحيين الذين نجحوا في هذه الفترة في إخراج اليهود من المجالات التي كانوا يسيطرون عليها: النسيج والتجارة الدولية[1].

الدين والقانون والحقوق... أمور خلقت في حلب عالماً مقسماً. ورغم ذلك فهذا العالم المقسم يضم مجتمعاً، أفراده جيران بعضهم لبعض، وزملاء مهنة، لغتهم واحدة وبيوتهم متشابهة وطعامهم واحد...

اليهود في حلب وفي الشرق الأوسط، طائفة مميزة، لكن لم يكن لهم مصلحة بأن يصبحوا من الصعب تمييزهم عن الغالبية[2]، كما أن العرب، ومبدأ حسن الجوار، ومعتقدات الدين الإسلامي، وكذلك الدين المسيحي، جعلهم ينخرطون في الحياة الاجتماعية، لا يحول بينهم وبين سائر السكان حائل[3]. ومن المعروف أن يهود بيت المقدس كانوا يفضلون السكن في أحياء المسلمين وبجوارهم.

يضاف إلى ذلك أن حلب عُرفت مدينةً ذات موقع استراتيجي على طريق الحرير، وقد سكنتها جاليات كثيرة منذ القرن الثاني عشر الميلادي، في حين

---

[1] رسل ص 167

[2] ماركوس ص 54

[3] كالوس، ص 7

أن مدناً غيرها كانت مغلقة بوجه الأغراب، وإذا حدث ودخلها أجنبي فعليه أن يلبس لباس أهلها، لئلا يُمَيَّز عن باقي السكان بلباسه الخاص!!

عائلة يهودية، يلاحظ التشابه في اللباس مع أفراد المجتمع بكل فئاته

لقد رأينا في فصلين سابقين، العيش المشترك والسكن المشترك، وقد أوضح الباحثان الألمانيان هانس غاوبة وأوغين فيرت[1] نسبة السكان اليهود في أحياء عرفت بغالبية مسلمة؛ ففي حي العقبة شكل اليهود 12%، وفي سويقة علي 11.8%، وفي حي الدباغة العتيقة، ويقع بين مبنى الجامع الأموي ومبنى الكنيس اليهودي الكبير نسبة 67%، وفي حي جب أسد الله 14%.

أما في الأحياء ذات الأغلبية اليهودية فقد سكن المسلمون إلى جانب اليهود، ففي البندرة، كانت النسبة 31% من السكان هم من المسلمين، وفي بحسيتا

[1] غاوبة وفيرت. حلب. ص 427

9%[1]. وقد رأينا سابقاً منزلاً يهودياً في حي الجلوم[2]، إلى جانب (جامع الدرجين).

إن النسب التي أوردناها تثبت علاقة اليهود مع الجيران المسلمين في التحية والمشاركة بالأخبار والإشاعات، خاصة والشوارع ضيقة متراصة والساحات مفتوحة، حتى إن الكثير من الفقراء يشتركون مع الآخرين بالمرافق العامة؛ والقول المعروف "من يعلم حالك غير الله وجارك" يدل على معرفة الجيران بتفاصيل حياة جيرانهم وبالعمل والظروف الاقتصادية والأحداث العائلية؛ فإن الدراسة والختان والزفاف والموت أحداث عامة، يتم الاحتفال بها بمواكب خارجية مع الأقارب والأصدقاء[3]، وفي حالات خاصة كانت تُطلب شهادة الجيران...

يضاف إلى ذلك، كانت خصوصية حياة الحي تخلق شعوراً جماعياً، من حيث الزيارة واستعارة الأدوات المنزلية، والمساعدة عند الحاجة[4]. ويمكن للجار الجيد أن يثبت أنه أكثر قرباً ودعماً من الأقارب: ((الجار قبل الدار)). فضلاً عن أن لكل حي "شيخ الحارة" هو صلة الوصل بين سكان الحي وبين السلطات، ويطيعه الجميع.

لقد دعم علاقات الجوار، الاختلاط والاشتراك بالعمل، بل الحاجة أيضاً، من ذلك احترام اليهود للتجار المسلمين، فكانوا يدعونهم باحترام،

---

[1] غاوية وفيرت... حلب... ص 427.

[2] بحسب موسوعة حلب لخير الدين الأسدي، جاءت كلمة الجلوم من حلّ القوم!!

[3] ماركوس... ص 319.

[4] ماركوس... ص 320.

ويدعونهم خواجات[1]؛ وقد يكون هؤلاء أصحاب حاجة لدى اليهود الصرافين والمقرضين، وحتى مكتب الحاكم والمحكمة الشرعية كل منهما استخدم صرافه اليهودي[2]. واعتبرت المحكمة الشرعية الفائدة التي تصل إلى حوالي 10%، على أنها فائدة شرعية والمعدلات التي تزيد على ذلك على إنها ربا محرم[3].

علاقات الجوار التي انتشرت في المدينة، والوعي بالفوارق الاجتماعية وعزل الذكور عن الإناث شارك به اليهود، فكانت نساء اليهود يتحجبن أمام الغرباء[4] ويذهبن إلى حمامات العامة، لكنهن يفضلن وجود مغطس فيها. ولما كان قسم كبير من يهود المدينة القديمة، ويهود الخانات بعد عام 1822 قد غادروا الخانات مع الأجانب بعد الزلزال أو سمح لهم السلطان محمود الثاني، وسكنوا في محلتي العزيزية والجميلية الحديثتين. كان اليهود يترددون على مقهى الجميلية، ويستثمره يهودي (ثم أصبح مقهى العطري)، مع المسلمين والمسيحيين، وكم كان يشتهي إدمون صفرا أغنى أغنياء العالم الحلبي الأصل وصديق الصحفي ظافر فكتور كالوس العودة إلى حلب، فكان يقول لصديقه: ((خذ بعض ثروتي مقابل نفس أركيلة وصحن حمص في ضوء القمر في مقهى الجميلية[5])).

---

[1] ماركوس ص 64 والمعنى الأساسي القديم للخواجة هو "التاجر"

[2] ماركوس ص 188

[3] ماركوس ص 188

[4] رسل ص 250

[5] كالوس ص ج المقدمة

لعب الجوار في حياة اليهود وعلاقاتهم بجيرانهم دوراً مدنياً وآخر سياسياً: ففي الناحية السياسية كان لليهود ممثلين في المجلس البلدي، وفيما بعد في المجلس النيابي، كما كان اليهود يترددون على الجامع الأموي لسماع الخطب السياسية كخطبة جمعية الاتحاد والترقي[1].

أما من الناحية المدنية فقد كان الانكشاريون يلجؤون إليهم لإيداع أموالهم لديهم في الأزمات[2] ثم أعمال الخطوبة. حتى سمسرة الغرام والاختلاط[3]، كانت تقوم بها اليهوديات. وسنتحدث عن خدمات المسلمين والجوار التي تُقدم لهم يوم السبت في حديثنا عن الأعياد.

لقد تطورت هذه العلاقة نحو الأفضل والتسامح وقبول ما كان ممنوعاً في السابق. إذ كان يمنع الغريب واليهودي والمسيحي من امتطاء الخيل داخل المدينة، ولكن تغيرت الأحوال في السنوات الأخيرة (1925 - 1940)، ومنح هذا الحق لمسيحيي ويهود حلب[4].

إذا توسعنا في الحديث عن علاقات الجوار لا بد أن نذكر مقولة القنصل الفرنسي دارفيو في مذكراته الجزء الرابع، ص 441 ((مسلمو حلب طيبون جداً، ولا يؤذون أحداً من جيرانهم إذا استفزوا، ويحبون الأجانب وخاصة الفرنسيين منهم. بارعون في التجارة وأمينون ويراعون القوانين. ولكنهم يحبون المظاهر، وهم شبقون. ويقال بأن المسيحيين المحليين في حلب أقل

---

[1] الغزي، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، ص 371

[2] الغزي، الجزء الثالث، ص 247

[3] رسل، ص 167

[4] أرشاك سيورميان، المجلد الأول، ص 264

فساداً وسوءاً. والأتراك بشكل عام يكذبون كثيراً، ويؤمنون بالخرافات، وهم متغطرسون وسكيرون. واليهود أخبث شعب في البلاد، ويكرهون المسيحيين[1]).

عدد السكان والتوزع السكاني

- في محلة بحسيتا داخل الأسوار بالقرب من دار الكتب الوطنية وفيها: اليهود 1970 ذكوراً 1890 إناثاً[2].
- في محلة جب أسد الله داخل الأسوار بالقرب من الجامع الأموي، وفيها أرمن ومسيحيون وأجانب: اليهود 104 ذكوراً 124 إناثاً[3].
- في محلة حي الجميلية خارج الأسوار بالقرب من شارع اسكندرون وثانوية المأمون وفيها جميع الطوائف: 1332 ذكوراً يهوداً و700 إناثاً، وتسكنها الطبقة الوسطى[4].
- في محلة حي الصليبة الصغرى خارج الأسوار بالقرب من التلل، وفيها جميع الطوائف: اليهود 200 ذكوراً 300 إناثاً[5].

ذكر الغزي في حارة ((الجلوم الصغرى)) أن المدرسة الزجاجية التي خربت في حادثة التتر نقلت حجارتها إلى مسجد أبي الدرجين. وبنى اليهود في

---

[1] لورنافست-سورميان المجلد الأول، ص 265

[2] الغزي، الجزء الثاني، ص 161.

[3] الغزي، الجزء الثاني، ص 167

[4] الغزي، الجزء الثاني، ص 241. لاندري لماذا أخطأ الغزي هنا في عدد الإناث وفي المجموع ١٢ ولورنافست الجزء الأول، ص 322.

[5] الغزي، الجزء الثاني، ص 301 لاندري لماذا أخطأ الغزي هنا في عدد الإناث وفي المجموع أيضاً ١٢

موضع عرصتها داراً[1]. أما المؤلفان الألمانيان هانس غاوبة وأوغين فيرت[2] فقد اعتمدا كتاب الغزي في تعداد مجموع اليهود وصححا مجموع بعض الأحياء، ووضعا مجموعاً لعدد اليهود، كما أضافا نسبة عدد اليهود في الأحياء التي وجدوا فيها.. وفق إحصائهما فالمجموع العام لليهود في المدينة القديمة هو 7534 نسمة. وعدد اليهود في الأحياء الحديثة لم يذكراه (الجميلية والصليبة الصغرى) وقد اعتمدا الإحصاء الجاري في عام 1883، بينما رأينا أن الغزي نشر كتابه عام 1922؟!

مهما يكن، لا تتوفر أرقام موثوقة عن عدد اليهود في حلب ولاعدد السكان الذي قدره الرحالة والقناصل وبعض رجال الدين الموارنة، في القرن الثامن عشر بين 320.000 نسمة وبين 334.000؛ وقيل للرحالة الفرنسي فولني الذي زار مدينة حلب عام 1783 إنها كانت تضم 200.000 نسمة[3] وبين عامي 1925 و1940 يذكر المطران أرداقست عدد اليهود 5000 نسمة[4].

كما يلاحظ أن الحي اليهودي (البندرة) أو (بندرة اليهود) وملاصق له حي (بحسيتا) قد استوعب جزءاً من الطائفة اليهودية، كما كان مسكوناً من قبل بكثير من المسلمين[5]، ولاغرو فإن اليهود كالمسيحيين، عاشوا في وسط السكان المسلمين الأساسيين[6]، حتى إن سويقة علي بالقرب من حي البندرة

---

[1] الغزي، الجزء الثاني، ص 67.

[2] كتاب حلب باللغة الألمانية، دار النشر للدكتور لودفيج ريخمت فيرلاغ

[3] ملركوس، ص 332. والمطران أرداقست، الجزء الأول، ص 224

[4] ملركوس، ص 332. والمطران أرداقست، الجزء الأول، ص 224

[5] المصدر السابق، ص 314.

[6] المصدر السابق، ص 314.

دعيت في فترة سابقة بـ "سويقة اليهود"[1]، يذكر الباحث الفرنسي جان سوفاجية، وقد نشر كتابه عن حلب عام 1940، أن اليهود في حلب قد عاشوا في أحياء غربي قلعة حلب وكان لهم كنيس هناك(جامع الحيات) ووصلوا حتى موقع باب النصر (باب اليهود سابقاً). غير أن تزايد عدد المسلمين في شرق وجنوب باب النصر، جعل اليهود يتجهون إلى الغرب من الباب إلى ما يعرف اليوم ببندرة اليهود (هدمت مع مشروع باب الفرج عام 1980) وحجة السيد جان سوفاجية أن عدد بيوت البندرة كان في عام 1570 اثنين وخمسين بيتاً حتى حي بحسيتا، فأصبح 477 بيتاً في عام 1683، وقد يكون الأمر كما ذكر سوفاجية تخزنة البيوت الكبيرة[2]، وقد ذكر مطران الأرمن في حلب السيد أردافست سورميان أن في حي البندرة بين عامي 1925 و1940 عدد البيوت 186 بيتاً[3].

دعي باب النصر سابقاً بباب اليهود، حيث يخرج اليهود من حي البندرة عبره إلى مقابرهم في منطقة العزيزية اليوم مروراً بباب تحته قنديل دائم لحفظ ذكرى الرسول أشعيا الذي كان يسكن في المكان بناء على أقوال المبشرين ويحج إليه المؤمنون.

إن بول بوران في دراسته الهامة اعتبر حي بحسيتا حياً يهودياً تقريباً[4].

---

[1] سويقة علي، ص 15. سوفاجية الحلقية 852، ص 226.

[2] سويقة علي، ص 15. سوفاجية الحلقية 852، ص 226.

[3] سويقة علي، ص 15. سوفاجية الحلقية 852، ص 226.

[4] بول بوران، ص 173. وتاريخ حلب، الجزء الأول، ص 23، للمطران أردافست سورميان، ترجمة الكسان كشيشيان، دار النهج 202.

يلاحظ مما تقدم أن "يهود الفرنج" الذين جاؤوا إلى حلب من مدن إيطالية ومن إسبانية، كانوا بعيدين عن الإحصاء الذي قدمه لنا الغزي، وهؤلاء كانوا قليلي العدد، عاشوا في الخانات إلى جانب الجاليات الأجنبية الذين تعاونوا معهم في الأعمال التجارية، وإن قليلاً منهم عاش في بحسيتا، في دور كبيرة. وحين بني حي الجميلية ترك سكان الخانات مواقعهم . كما ترك أغنياء الطائفة أحياء المدينة القديمة، وهاجروا إلى الأحياء الحديثة (الجميلية والإسماعيلية).

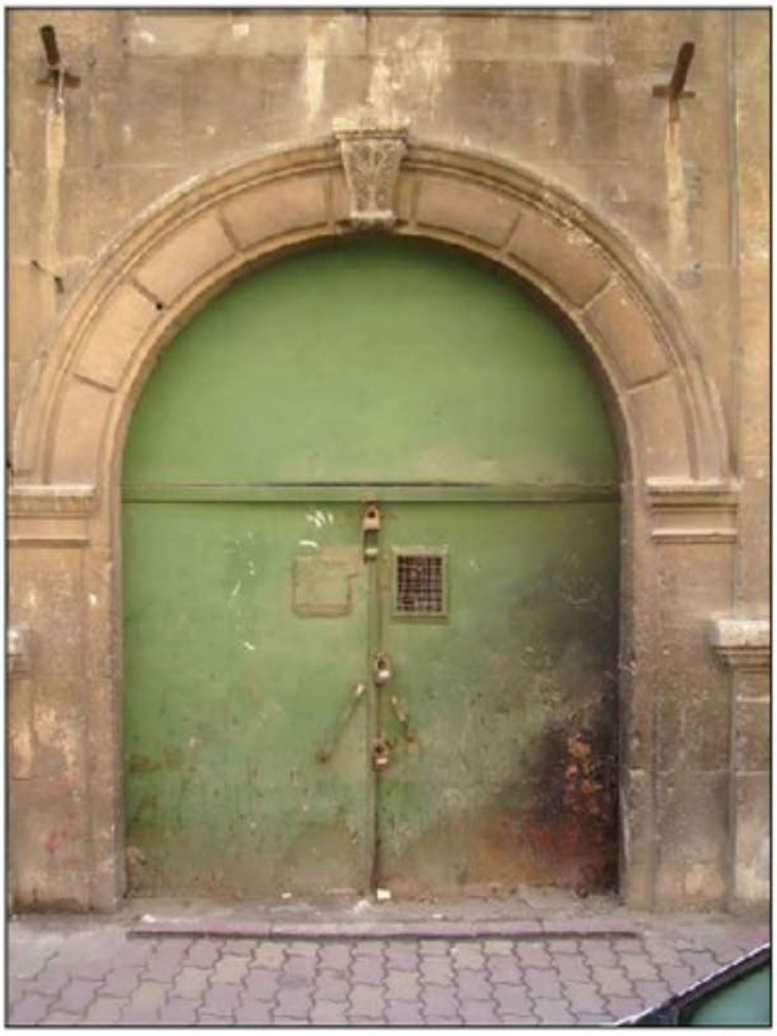

مدخل كنيس اليهود في حي الجميلية

هذا التحرك في الأحياء التي سكنها اليهود، سبق وأن ذكرته المصادر العربية وكتابات الرحالة، وما زالت آثاره قائمة إلى يومنا هذا: لقد انتشر اليهود في محيط قلعة حلب كغيرهم من السكان وكان لهم معبد هناك بجانب خندق القلعة من جهته الغربية، ولدى زيادة عدد السكان، حُوِّل المعبد اليهودي إلى جامع[1]، وانتقل اليهود إلى منطقة البندرة.

ازداد الضغط على حي البندرة فقسمت إلى قسمين: الأول بندرة الإسلام بالقرب من باب النصر (باب اليهود سابقاً) والثاني بندرة اليهود بالقرب من باب الفرج، وبقي قائماً بمنازله بعضها متواضع، وبعضها واسع غني حتى السبعينات[2] حيث تبنّت الدولة مشروعاً عمرانياً ومعمارياً عرف بمشروع "باب الفرج" يتلخص بإزالة حي بندرة اليهود، أي القسم الجنوبي من حي البندرة وبناء مركز تجاري حديث، وفي عام 1980 أزيل الحي ومساحته تسعة هكتارات ووضعت المشاريع البديلة، وبدأ تنفيذها، ومنها مديرية الثقافة، وفندق شيراتون.

يرجع تاريخ الوجود اليهودي في سورية ولبنان إلى فترة قديمة للغاية، وكان يهود هذين البلدين من يهود فلسطين أو من اليهود الذين خرجوا من الأندلس، واندمج هؤلاء المهاجرون سريعاً مع يهود هذين البلدين الذين كانوا شديدي التأثر بالفكر الإسلامي[3] وقد أحصى داوود الرحالة اليهودي 1842 ستمائة عائلة يهودية في حلب، وكانت الطائفة اليهودية في حلب

---

[1] الغزي، الجزء الطبعة الأولى، ص139 (جامع الحيات)

[2] سويدة علي ص 15 سوفاحية الخانية 852 ص226

[3] الغزي، الجزء الثاني، ص161

آنذاك أكبر الطوائف في سورية ولبنان؛ أما الرحالة بنيامين هيشيني الذي زار المنطقة 1848 فقد ذكر أن عدد العائلات اليهودية في حلب يقدر بألفي عائلة وأن تعداد اليهود فيها يقدر بعشرة آلاف يهودي، كما ذكر أن بضع مئات من يهود إيطالية يعيشون في حلب واستقروا بها منذ القديم، وكانوا ينعمون بمكانة بارزة في المدينة[1].

حي فرعي في حي الجميلية ويبدو باب الكنيس اليهودي

أما الإحصاء السكاني الذي أجرته الدولة العثمانية في عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن التاسع عشر، فقد حدد تعداد يهود حلب والمناطق

[1] الغزي، الجزء الثاني، ص 161.

المحيطة بها يقدر بتسعة آلاف وثلاثمائة وستة وخمسين يهودياً، في تلك الفترة قدر حوالي ثلاثمائة تاجر يهودي من أصل إيطالي[1].

أما في بدايات القرن العشرين فقد أقام في كل من دمشق وحلب عشرة آلاف يهودي، بل يرى البعض أن تعداد يهود سورية كان أكبر بكثير من هذا الرقم. وشهدت فترة الحرب العالمية الأولى، والفترة التي أعقبتها هجرة أعداد كبيرة من اليهود من سورية نتيجة لرغبة أعداد كبيرة منهم في عدم الالتحاق بالجيش التركي[2].

علاقات الجوار بين اليهود وجيرانهم

إن الفوارق الطائفية، لم تفصل بين المواطنين في حلب، مهما كانت معتقداتهم الدينية، ولم تكن عوالمهم الاجتماعية العامة لتعزل بينهم؛ وخلافاتهم إن وجدت فهي محدودة، إذا قورنت بالتشابهات العظيمة، نتيجة للجانب العملي الذي كان يرشد سلوكهم اليومي[3]، والحدود القانونية أمامهم مرسومة بوضوح جداً.

إن بيئاتهم المتنوعة ربطت بعضهم ببعض، وإن مشاركتهم للميراث الثقافي المشترك، قربت بينهم، فلم يكن المسلمون واليهود والمسيحيون غرباء بعضهم عن بعض البعض وإن أديانهم، قد غرست فيهم الرؤى الخُلُقية[4] والمثل الاجتماعية المتشابهة.

---

[1] الذي، الجزء الثاني، ص 161

[2] الذي، الجزء الثاني، ص 161

[3] ماركوس ص 56

[4] ماركوس ص 56

كانت نشاطاتهم العملية في محيط العمل والتجارة، قد تأثرت قليلاً نتيجة الفوارق الدينية[1]، ولكنهم كانوا جميعاً يمارسون معظم المهن والأعمال، وينتمون إلى نقابات الحرف والتجارة التي كانت تنظم الكثير من القوى العاملة؛ وغالباً ما كان أعضاء الجماعات المختلفة يتحدثون لغة واحدة، ويعملون تحت سقف واحد، ويعيشون في بيوت متشابهة، ويتمتعون بالطعام نفسه، ويستوعبون نفس المتابعات والمتع[2].

كان اليهود يعيشون في مختلف أحياء المدينة، ولم يكن هناك حي خاص باليهود. وإن هذا التقارب السكني، بالإضافة إلى شراكة التجارة المنفتحة ساعد على تضيق الفارق الاجتماعي ليس بين اليهود والمسلمين فحسب، بل بين أعضاء الجماعات الدينية المختلفة[3].

"ليس المسلم الغريب في بلد الإسلام غريباً، كما أن المسيحي أو اليهودي المدني ليس غريباً في بلد الإسلام، ولوجاء وارتكب بغير قصد حماقة أو جرماً، ففي النظام العثماني كلهم سواسية. المسيحي واليهودي، وهما في المدينة، في بيتهما، لأنهما ينتميان إلى تنظيم اجتماعي وسياسي وروحي اعترف به وقبله المسلمون. وإن الأمر بالنسبة للمسيحيين أو اليهود في منطقة الشرق الأوسط، كما للمسلمين، أن يكون المرء من سكان المدينة بشكل عام، ربما أهم، بعد أن يسكن في مدينة ما"[4] لقد بلغ الأمر في نوع من

---

[1] ماركوس ... ص 56.

[2] ماركوس ص 56.

[3] ماركوس ص 56.

[4] حلب بالف نسبة، حان كلود دافيد بالاشتراك مع جيرارد دوجورج، دار فلاماريون للنشر 1991، ص 244.

التآلف، أن قال الصحفي المعروف السيد ظافر فكتور كالوس، وقد عاش مع يهود حلب وأنشأ صداقات معهم ((..واليهود لا يتعدون على جيرانهم، ففي كل سبت يجتمعون حول جيرانهم من المسلمين والمسيحيين القاطنين في الحي ليسهروا على طقطقة بزر البطيخ الذي يُعِدُّونه من قبل، ولا يختلفون، قلما يختلف يهودي مع جاره في الحي من دين آخر فهو متسامح ويقبل بالإجحاف، ويسكت على مضض لليوم الذي يستطيع أن ينتزع حقه ويصون كرامته المطعون بها[1])). وقد أفادني أحد المسنين أن اليهودي وإن تعرض لإهانة من مسلم، فإنه يتحملها في وقتها، ثم فيما بعد يرسل مسلماً من طرفه للعتاب.

اختلفت المصادر المحلية حول عدد اليهود في حلب، إذ لم تكن هنا أعمال إحصائية حديثة. وإن وجدت فهي لا تعطينا المعلومات الدقيقة، ولا توجد سجلات الولادات والوفيات. والأرقام التي وضعت كانت تقديرية.

ذكر بنيامين الطليطلي أن عدد اليهود في حلب في زمن نور الدين (القرن الثاني عشر) ألف وخمسمائة [2] كما ذكر أبراهام ماركوس أن عدد اليهود في حلب في القرن الثامن عشر يتراوح بين ثلاثة إلى أربعة آلاف نسمة [3]، بينما ذكر الأخوان رسل، في القرن الثامن عشر أن عدد اليهود كان خمسة آلاف نسمة[4]. أما بول بوران الصحفي الفرنسي الذي أقام في حلب ووضع كتابه

---

[1] حلب بالنسبة، جان كلود كافيد بالاشتراك مع جيرارد جورج، دار فلاماريون للنشر 1991، ص 244.

[2] رسل ص 248

[3] ماركوس ص 52

[4] رسل ص 224

المهندس الفرنسي شارل غودار مستشار بلدية حلب في عهد الانتداب الفرنسي وفي كتابه "حلب - دراسة جغرافية عمرانية واقتصادية..." ونشر عام 1938، فقد دمج اليهود والمسيحيين وقدّر عددهم بـ120.000 نسمة وقدر عدد المسلمين بـ 180.000 نسمة[1] أما المطران أرداقست مطران حلب 1925 - 1940 فقد قدر عددهم بـ 13000 نسمة[2]. وأخيراً فإن الصحفي فكتور كالوس مؤلف كتاب "تاريخ اليهود في بلاد الشام" ذكر عددهم في عام 1844 ذكوراً 3460 والإناث 36234[3] وتابع... "الموسويين ذكوراً 3953 وإناثاً 3872".

في عام 1848 قامت الدولة العثمانية بعملية إحصاء لسكان مدينة حلب. ويظهر، كما يقول الغزي[4]، إن الناس كانوا في تلك الأيام يمتنعون عن تسجيل أسمائهم في سجلات الحكومة فراراً من الجندية وتخلصاً من الضرائب التي كانوا يتخوفون من دفعها، وكان الناس بعد رضائهم بتسجيل أسمائهم، يرون من العار تسجيل أسماء نسائهم. فكان من الصعب على الرجل جداً أن يصرح باسم زوجته أو ابنته، ولهذا لم تتمكن الحكومة إلا من إحصاء عدد الرجال فقط[5].

أخيراً أورد الغزي جدولاً بإحصاء عام 1922. فكان عدد الموسويين فيه 3150 نسمة ذكوراً و3430 إناثاً[6].

---

[1] غودار بالفرنسية، ص6.

[2] غودار بالفرنسية، ص6

[3] هكذا ورد في الأصل.

[4] الغزي، الجزء الأول، ص258.

[5] الغزي، ج2، ص86

[6] الغزي، الجزء الأول، ص258.

إن الشيخ كامل البالي الحلبي الشهير بالغزي، ويعتبر كتابه "نهر الذهب في تاريخ حلب" بأجزائه الثلاثة، مصدراً هاماً للدراسة "ولاية حلب" فقد اعتمد على مصادر سابقة وبحث ميداني، ولا ندري إن كانت إحصائياته التي أوردها مأخوذة من البحث الميداني أو من المصادر الرسمية!!

نورد فيما يلي إحصاء اليهود في أحياء حلب، ذكوراً وإناثاً، اعتماداً على ما أورده الغزي:

- في محلة ساحة بزة داخل الأسوار بالقرب من باب المقام، وفيها أرمن وأجانب: اليهود 17 ذكوراً، 24 إناثاً[1].
- في محلة سويقة علي داخل الأسوار بالقرب من سبع بحرات، وفيها أرمن فقط: اليهود 71 ذكوراً، 34 إناثاً[2].
- في محلة العقبة داخل الأسوار بالقرب من باب إنطاكية، وفيها أرمن وأجانب: اليهود 53 ذكوراً، 67 إناثاً[3].
- في محلة الدباغة العتيقة داخل الأسوار بالقرب من سبع بحرات: اليهود 253 ذكوراً 256 إناثاً[4].
- في محلة البندرة داخل الأسوار بالقرب من باب النصر: اليهود 927 ذكوراً 948 إناثاً.

---

[1] الغزي، ج2، ص 86

[2] الغزي، ج2، ص 86

[3] الغزي، ج2، ص 86

[4] الغزي، ج2، ص 86

- في حي المصابن داخل الأسوار بالقرب من باب الفرج ، وفيها أرمن وأجانب : اليهود 377 ذكوراً 400 إناثا[1] .

الزواج والحجاب والطلاق

كان وضع المرأة في كل الطوائف اليهودية في الشرق متدنياً للغاية ، سواء من الناحية الاقتصادية أم الاجتماعية ؛ فلم تشارك المرأة في الحياة الدينية أو الاجتماعية للمجتمع ، واقتصر نشاطها على تدبير شؤون المنزل ؛ وكان وضعها الاقتصادي متدهوراً ، لأن عبء إعاشة الأسرة كان ملقى على الزوج فقط . وعندما كانت المرأة تخرج للعمل بالزراعة ، فإنها كانت تمارس هذا النشاط في إطار الأسرة فقط . ولم تحظ المرأة اليهودية بأي قدر من التعليم الرسمي ، وكان شأنها شأن كل نساء الشرق اللاتي لم يكن يعرفن القراءة والكتابة ، باستثناء بعض الحالات النادرة . ولم تسد في أوساط الطوائف اليهودية في الشرق تلك الاتجاهات التي سادت في أوساط الطوائف اليهودية الأخرى التي دعت إلى تحسين وضع المرأة اليهودية[2] . وقد شاعت في أوساط يهود الشرق ظاهرة تعداد الزوجات ، كما شاعت أيضاً في أوساطهم ، وبتأثير من المجتمع الإسلامي ظاهرة إعطاء الزوج صلاحيات كبيرة في مجال الطلاق دون أخذ إذن المرأة ورغبتها في الحسبان . كذلك فإن "أليبوم" (زواج المرأة اليهودية من أخي زوجها المتوفى رغماً عنها) كان هو الآخر متبعاً بين يهود بلاد الشرق إلى فترة قريبة[3] . وكان وضع المرأة اليهودية

---

[1] الغزي ، ج2 ، ص 86

[2] رسل ص 249 وموسوعة الأسدي المجلد الخامس ص 215

[3] رسل ص 249 وموسوعة الأسدي المجلد الخامس ص 215

في مجال المواريث أدنى بكثير من وضع الرجل، ولذلك لجأت النساء اليهوديات إلى القضاة المسلمين للحصول على حقوقهن. وقد حرص القضاة اليهود في أحيان كثيرة على منح اليهوديات حقهن في الإرث حرصاً منهم على عدم توجههن إلى القضاة المسلمين[1]. ولم يطرأ أي تغيير ملموس على وضع المرأة اليهودية في بلدان الشرق حتى الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918.

رغم استياء اليهود من بعض القيود الرسمية والقليلة كضريبة الرؤوس (الجزية)، فإنهم جهدوا في تعزيز هويتهم القومية بتوعية قادتهم وتشريعاتهم وضوابطهم الاجتماعية، ولقد كان مسموحاً لهم على الصعيد الرسمي اتباع قوانينهم الخاصة بهم وتطبيقها وإلزامها للأعضاء، ورغم وضوح الاعتقادات الدينية، لكن المشاركة بالميراث الثقافي، لم يتركهم غرباء تماماً، فهناك رؤى خُلُقية ومثل اجتماعية متشابهة بين المسلمين والطوائف الأخرى، وبين الطوائف وبعضها مع بعض، إن الجوار والتقارب السكني وشراكة التجارة ساعد على تضيق الفارق الاجتماعي بين أعضاء الجماعات الدينية المختلفة[2].

التزاوج بين الطوائف لم يكن شائعاً، وأقوال شعبية كثيرة شائعة تحول دونه، واليهود أكثر تعصباً لبني قومهم، فحالات الزواج المختلطة التي خرقت هذه القاعدة الاجتماعية، كانت نادرة، وكانت تؤدي إلى حالات التحول إلى دين آخر، وتورط بها أناس من الطبقة الدنيا خلفت حالات

---

[1] رسل ص 249 وموسوعة الأسدي المجلد الخامس، ص 215

[2] ملركوس ص 54 و55

شاذة وغير مريحة حيث ينقسم الأقارب إلى قسمين[1]... لقد تم زواج اليهوديات من غير اليهود، إذا ما تعهدت الزوجة اليهودية أن تربي أولادها على الديانة اليهودية وشروطها وغاياتها. وفي حلب تزوجت يهوديات من مسلمين ومن كبار عائلاتهم وقد عجزن عن تربية أولادهن على الطريقة اليهودية فشبوا مسلمين. بالمقابل كانت اليهودية تقبل بالمسيحية ولا تعترض عليها[2].

من الطبيعي أن يؤدي سكن عدة عائلات، أحياناً في بيت واحد إلى التزاوج بين الأقارب المقربين، فمن المعروف أن اليهود يعيشون متآلفين مع النساء أكثر من المسلمين والمسيحيين، ويبدو أن النساء لا يتحجبن أمام الرجال من بني دينهن[3].

يتزوج اليهود بصورة عامة وهم أصغر سناً من المسلمين، وتعقد خطوبة بعضهم وهم صغار جداً، في حين يخطب آخرون قبل الزواج بأشهر قليلة. وبما أن الزواج من الأقارب مسموح، فإن الفرصة تتاح لكلا الطرفين لرؤية أحدهما الآخر والتعارف مسبقاً؛ وإذا لم يكن الأمر كذلك، تحجب العروس وفقْ العادات الشرقية[4].

يذكر أحد الرحالة، إنه يتعين على اليهود الزواج بين الثامنة عشرة والعشرين؛ أما في حلب فهم يتزوجون في سن أبكر، ويتزوج جميعهم مهما بلغوا من الفقر، وقد لوحظ وفاة كثير من المرضعات بسبب زواجهن المبكر؛ رغم أنهن ولدن بشكل صحيح[5].

---

[1] المصدر نفسه ص 57 وجان كلود دافيد بالفرنسية ص 227

[2] كالوس ص 58

[3] رسل ص 250

[4] المصدر السابق، ص 255

[5] أرد افست الجزء الثاني، ص 321

إن تعدد الزوجات نادر بين اليهود، ولا يحدث إلا في حالة عقم المرأة، أو الرغبة في إنجاب طفل ذكر؛ ومن الشائن أن يتزوج الرجل زوجتين دون أي عذر آخر. يذكر الدكتور ألكسندر رسل، طبيب الجالية الإنكليزية في حلب: "لم تتجاوز عدد الأشخاص المتزوجين من أكثر من زوجة أكثر من عشرين شخصاً. وقد صادفت حالتين أو ثلاث حالات تزوج فيها أشخاص من طبقة دنيا زوجة ثانية بسبب عقم زوجاتهم، إلا أنهم عانوا الأمرين بعد أن حملت كلتا الزوجتين، واستمرت الزوجتان ولسنوات عديدة في إنجاب طفل كل خمسة عشر شهراً، الأمر الذي اعتبره العبري المتدين عقاباً ربانياً لعدم ثقته بالعناية الإلهية[1]".

إن الطائفة اليهودية أعفت الرجال غير المتزوجين من ضرائب جماعية، كطريقة للسماح لهم بتوفير المال للزواج. وكان هذا الإجراء العادل لتقديم إعانة مالية لنفقات الزواج، ((وقد حظر زعماء الطائفة زيادة الابتهاج التقليدية[2])).

يعقد الرئيس الديني من طائفة ديان عقد النكاح، ولا يعتبر صك الزواج شرعياً إلا بتصديقه فضلاً عن سند المهر المؤخر للزوجة بمراسيم معينة[3]. وتنعقد جمعية (كتبة) تسجل فيها استلام الزوج الأمتعة التي اشترطها على الزوجة كالحلي والملابس، وحين تسجل هذه الأمور ((يجري احتفال يحضر فيه جملة من رؤساء دينهم، ويقدم الشراب والطرب[4])).

---

[1] رسل، ص 256، وص 257.

[2] ماركوس، ص 206.

[3] الغزي، الجزء الأول، ص 163.

[4] المصدر نفسه، ص 208.

"الدوطة" أو الأمتعة التي اشترطها الزوج؛ كانت عنواناً للزواج، وكان الشاب يسأل قبل كل شيء عما لدى الفتاة من مال أو ما قد يوقفه لها أهلها قبل الزواج[1].

رغم ما تقدم فالعلاقات السرية بين الفتيان والفتيات اليهود، أكثر شيوعاً مما هي بين المسيحيات، ويعتقد الدكتور ألكسندر رسل كثرتها ليس لأن الفتيات أقل عفة، بل لأن الفرصة متاحة لهن أكثر، وأنهن أكثر تعرضاً للإغراءات، ويحول الفقر دون زواج الفتيات في وقت مبكر. إن الخوف من العقاب يجعل الجميع يحرصون على كتمان الأمر، فعندما تحمل الفتاة طفلاً، إما أن ترسل إلى بلدة أخرى لكي تلد هناك، أو توفر لها العائلة زوجاً في الوقت المناسب لإنقاذ سمعتها.

يبدو أن العلاقات غير الشرعية محصورة ببني جلدتهم، وذلك لأن الأمراض الجنسية نادرة بين يهود حلب[2].

تقام احتفالات أعراس اليهود بفخامة كبيرة، ويستمر الاحتفال سبعة أيام، ويحضر الاحتفال أكبر عدد يمكن أن تتسع له الغرفة في المنزل، ويوجد مسلمات ومسيحيات بين المدعوات. تدعى فرقة القلعة الموسيقية[3]. والراقصون من كلا الجنسين من الطبقة الدنيا من اليهود.

تشعل أمام العروس، وهي جالسة في الإيوان، ثلاث شمعات رفيعة، وتغطى بحجاب أحمر رقيق من الشاش، وتطبق جفنيها، وأحياناً بشدة

---

[1] كالوس، ص 56

[2] رسل ص 257

[3] المصدر نفسه، ص 255

وتُطلى بشرتها عادة بالأحمر، وترتدي ثياباً من الحرير من البندقية وتضع مجوهرات كثيرة، وتجلس أمها وبعض قريباتها على جانبيها، وتقف باقي النسوة وجميعهن محجبات[1].

يحضر العريس هو وأصدقاؤه من الكنيس، إلى مكان العروس في موكب يتقدمهم الحاخام الأكبر وحاخامان آخران، وتتوقف الموسيقى، وتبدأ مراسم صلاة العرس، والعروس ووصيفاتها واقفات، ثم يصعد العريس يقوده أبوه إلى الإيوان، ويقف إلى جانب العروس الأيسر، ثم يقوم الأب بتغطية رأسيهما بالغطاء الصوفي المستخدم عادة في الصلاة. تتم الصلاة، ويُقدم كأسان من النبيذ إلى الحاخام فيشربهما ويرمي بهما إلى الأرض، يضع العريس الخاتم فوق أول عقدة من سبابة العروس، ثم تقوم هي بوضعه بشكل صحيح.

في نهاية الاحتفال يُرفع الحجاب، وينزل العريس من الإيوان لتلقي التهاني، ثم يرافقه أصدقاؤه الذكور في موكب إلى بيته، ثم تصل العروس مع مرافقاتها بعد فترة وجيزة وتستقبلها النسوة بالترحيب والهتاف. ثم تحتفل النسوة في غرف منفصلة عن الرجال، وفي الليل يأخذ العريس عروسه، وإذا تزوج في تلك الليلة وجب عليه أن لا يمس زوجته مدة خمسة عشر يوماً، بعدها يذهب إلى الحمام وينغمس في حوض خاص. ويجب على الزوج أن يدعو في ثاني يوم من زواجه عشرة من رؤساء الدين[2]. تبقى الأم وعدد قليل من قريبات العروس حتى نهاية الأسبوع.

---

[1] المصدر نفسه، ص 255

[2] المصدر نفسه، ص 255

تكاليف الزواج باهظة جداً، والاستضافة لمدة أسبوع، وتُوزَّعُ الأطعمة على الفقراء.

يختن الطفل بعد ولادته بيومين. ويدعى الكاهن إلى بيت الطفل، فيباركه بمراسيم خاصة ليكون من حق سبط الكهنة، فيتضرع أبوه إلى الكاهن ليستوهبه منه، ويعوضه عنه قدراً معلوماً من الدراهم الفضية.

متى بلغ الطفل سنة من العمر وجب على أبويه أن يأخذاه في كل سنة إلى وليمة زفاف حتى يبلغ الثانية عشرة. وفي السنة الثالثة عشرة يلبسه أبوه لباساً خاصاً وحزاماً من الجلد عليه الكلمات العشر والإصحاح الأول من سفر الوصايا حينها يعدّ رجلاً ويجوز أن يتمم صلاة الجماعة التي لا تتم إلا بعشرة رجال[1]. وإذا بلغ الثامنة عشرة يجب عليه الزواج.

عرفت العائلة الكبيرة عند اليهود، لدى فقرائهم وأثريائهم، ولا يقل أفرادها عن السبعة[2].

ذكر الرحالة الهولندي كورنوليس دوبروجين في رحلته إلى حلب في الفترة 1683 - 1682[3]: ((ذهبت مع بعض التجار لزيارة يهودي، أكثر اعتباراً من كل أفراد جاليته. إنه يقطن مع جميع أفراد عائلته، منزلاً جميلاً، في مدخله حوضان، وهو يضم عدة أقسام، على شاكلة دير، عمره حوالي ثمانين عاماً يدعى يعقوب سيتون؛ له أولاده وأولاد أولاده حتى الجيل الرابع،

---

[1] المصدر نفسه، ص 255

[2] كالوس، ص 16.

[3] العلاقات بين هولندا وسورية العثمانية، حسين المدرس وفوليفيه سالمون بالفرنسية، أيار 2007، ص 76، ترجمة د محمود حريتاني.

وأفراد هذه العائلة سبعون فرداً، أصغرهم يبلغ سنة من العمر، وقد وضع هذا الطفل بين يدي. لقد استُقبلنا بكثير من الحفاوة، وقُدِّمت لنا وجبة خفيفة جيدة[1])).

إن الضغط الاجتماعي قد عمل على تخفيض تكرار الطلاق، فعندما تنفجر المشاجرات العائلية، غالباً ما يتدخل الأقارب للجوء إلى السلام الداخلي وإبقاء الزوجين معاً.

أكثر حالات الطلاق كانت تخص العائلات المسلمة، وإن مثلها كان بأعداد صغيرة وبصورة غير متناسبة لدى المسيحيين واليهود، ولقد ثبتت شبكة السلامة للعائلة الأكبر بأنها أهم في هذه الأوقات من الأزمة[2].

يحق الطلاق عند اليهود، إذا كانت الزوجة عاقراً أو مريضة، أو ذات عيب شرعي[3].

دور المرأة

لم تفدنا المصادر كثيراً عن دور المرأة اليهودية في المجتمع الحلبي، كما أن وثائق المحكمة الشرعية نادراً ما تتحدث عن مشكلات اليهود التي تحل في محاكم سلطاتهم الدينية، ولم ينشر إلا النادر منها. وإن البحث الميداني لا يفيد شيئاً لأن المجتمع اليهودي في داخله مغلق عدا بعض الصلات العامة في العمل والأفراح والأتراح، وقد أوردنا في الصفحات السابقة بعضاً منها.

---

[1] المصدر نفسه، ص 84

[2] ماركوس، ص 208

[3] كالوس، ص 58

فضلاً عن ذلك فإن مجتمع المرأة خاص جداً يتساوى في ذلك مع المسلمين وبقية الطوائف، ويعود ذلك إلى عوامل متعددة منها؛ جهل المرأة، وعدم اشتراكها في الحياة العامة، والزواج المبكر وعدد الأولاد.

إن هذه الطائفة القليلة العدد بالنسبة لمجموع السكان، لم تترك لنا نشاطاً عاماً كالنساء المسلمات اللواتي اشتركن في بعض نواحي الحياة العامة مع أزواجهن وأقربائهن. ورغم ذلك، فإن بعض الحرية في مجتمعهن، جعلتهن يلعبن دوراً قد يكون قليلاً.

قبل أن ندخل في هذا البحث يجب علينا أن نذكّر بفئتين من يهود حلب: اليهود المحليون وهم فئة أصحاب المهن والأعمال العادية التي ذكرناها، واليهود الأجانب الأغنياء الذين وفدوا مع الجاليات الأجنبية، وبجنسياتهم الأجنبية أيضاً، فقد شكل هؤلاء فئة بعيدة كل البعد عن الفئة الأولى، وقد حملوا معهم عاداتهم وتقاليدهم، وقد كتب عنهم الرحالة، وعرفنا شيئاً عن دور المرأة اليهودية في مجتمعهم، وقد قام هؤلاء بانقلاب إن صح التعبير في الرئاسة الدينية التي أرادوها لأنفسهم لأسباب خاصة بهم أيضاً، ويصحّ هنا أن نذكر أخبار المؤرخ الغزي عنهم[1] ومفاده: في عام 1492 وصل يهود إسبانيا إلى حلب ((فكان فيهم الغني وذو المعرفة السياسي والفلكي...)) ((ورفضوا رئاسة اليهود الحلبيين، وعينوا رئيساً منهم[2])). لو تابعنا حديث الغزي لرأينا سبب الخلاف يعود إلى اختلاف العادات والتقاليد بين اليهود الحلبيين وبين ((فرنج اليهود)) وزعيمهم آنذاك صموئيل بيجوتو "مرعيّ

---

[1] الغزي، الجزء الأول، ص 163 و164.

[2] حريثاني أسواق المدينة، ص 54.

الخاطر عند الدولة العثمانية"[1] وقد تناول الاختلاف دور المرأة ورفض يهود الفرنج القيود المفروضة على المرأة التي منعها اليهود في حلب من أن يزورها خطيبها، وعدم جواز خروج النساء للبرية والبساتين بوجود الرجال، وعدم زيارة النساء في أول أيام الأعياد وغير ذلك...

من فئة يهود الفرنج؛ فريدة بنت روفائيل ليفي استانبولي من الجنسية الإيطالية كانت تقوم بأعمال التجارة والقنصلية[2]، فضلاً عن أن آل استانبولي، كان لها خمسة مقاسم بطريق الأجارتين في خان الجمرك[3].

اعتادت نساء الطبقة الراقية التدخين، فضلاً عن إنفاق أموال كثيرة على المجوهرات وأدوات الزينة وخضاب الحنة (الحنّاء).

كما أكد الدكتور رسل، أن بعض نسائهم في غاية الجمال[4]؛ وكان من عادات نساء حلب أن تضفر المسلمة شعرها ثلاث ضفائر والنصرانية ضفيرتين واليهودية أكثر من ثلاث[5]؛ ولديهن طريقة خاصة بإلقاء التحية، فالمرأة تؤدي التحية ويداها مضمومتان عند رؤوس الأصابع فتلامسها الأخرى برفق أو تزلق أصابعها فوقها، ثم ترفع كل منهن، وبحركة سريعة، يديها، وهما مضمومتان عند رؤوس الأصابع إلى شفتيها[6].

---

[1] الغزي. الجزء الأول. ص 163 و164.

[2] حديثاني أسواق المدينة. ص 54

[3] حديثاني أسواق المدينة. ص 54

[4] رسل. ص 249 وموسوعة الأسدي. المجلد الخامس. ص 215

[5] رسل. ص 249 وموسوعة الأسدي. المجلد الخامس. ص 215

[6] المصدر السابق. نفس الصفحة.

كما أن لديهن طريقة مميزة للتعبير عن النفي التام، تتمثل في عض ظفر إبهام اليد اليمنى ثم يدفعن اليد إلى الأمام بسرعة[1].

المرأة اليهودية دائماً وبشكل عام، لا تتناول الطعام على نفس المائدة مع الرجال، سوى أيام العطل، أو[2] عند عدم وجود غرباء فتتناول الطعام مع بقية أفراد العائلة سوية.

تتحجب المرأة دائماً، وبشكل عام[3]، إلا إذا كانت بين أفراد الطائفة.

يؤمن اليهود، والمرأة بخاصة بوجود العين الشريرة، وتأثيرها في تفشي بعض الأمراض من النوع الهستيري، وفي حالات كهذه، لا يثقون تماماً بحاخاماتهم، بل يلجؤون إلى مشايخ المسلمين لكي يقرؤوا لهم بجانب سرير المريض، واتباع أساليب متعددة في تحضير الأرواح.

كما تؤمن المرأة كثيراً بالتنجيم، وبالدجالين الأفريقيين ممن يجيدون السحر كما يدّعون، ويجولون في الشوارع للكشف عن الطالع والحظ[4].

فضلاً عن حجاب المرأة اليهودية، فقد فرضت القيود على تحركاتها خارج المنزل، وعزلها في الاحتفالات العامة والأماكن العامة للتجمعات، وخاصة اللقاءات الغرامية. إن الطهارة النسائية وشرف العائلة مراهن عليها.

---

[1] المصدر السابق. ص 250

[2] المصدر السابق. ص 257

[3] المصدر السابق. ص 257

[4] المصدر السابق. ص 257

في القرن العشرين، وبتأثير اليهود الأغنياء، والانتقال إلى الأحياء الحديثة في الجميلية والإسماعيلية، وخلال فترة الانتداب الفرنسي، أصبح لليهود منتديات، فيها الاختلاط بين الرجال والنساء، والرقص والموسيقى الغربية[1].

ويذكر المطران أرداقست سورميان: "لنساء حلب من جميع الطوائف عادة قديمة في صبغ أطراف الأجفان بصباغ أسود. ويستخدم على شكل قطرة ومرهم ومسحوق لمداواة أمراض العيون أيضاً. وبعضهن جميلات جداً وتسريحتهن مختلفة، ويتزين بالجواهر، ولكن الحذاء بقي بلون بنفسجي وغطاء الرأس أبيض".

بعد الحرب العالمية الأولى وانتهاء العهد العثماني، أسفرت النساء عن وجوههن، وأصبحت الموضة تجذب النساء اليهوديات، كما احترفت سيدات يهوديات الخياطة[2]؛ وأما غطاء الرأس الأبيض فكانت تستخدمه النساء المسيحيات واليهوديات ويدعى kalıhaye أما غطاء التركيات فكان أحمَر أو أزرق، وكانت النساء اليهوديات يخرجن إلى الشارع مغطيات بشكل كامل بفارق واحد هو أن يدهنّ الواحدة تبقى حرة وغير مغطاة للتفريق بين المسلمات واليهوديات[3].

---

[1] كالوس، ص 1. والمعلومات أرداقست، المجلد الأول، ص288

[2] كالوس، ص 1. والمعلومات أرداقست، المجلد الأول، ص39

[3] تاريخ حلب، الجزء الأول، ص 281. للمعلومات أرداقست سورميان، ترجمة د. الكسان كشيشيان، دار النهج بحلب، الطبعة الثانية 2003

الفصل العاشر

الحياة الثقافية

التعليم

مر التعليم لدى اليهود بمرحلتين: الأولى تبدأ منذ القديم وتنتهي مع منتصف القرن الثامن عشر؛ والثانية في أواخر القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن العشرين، ويتضح من المصادر اليهودية التي تناولت أوضاع التعليم اليهودي في الإمبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر أن النظام التعليمي كان يشهد آنذاك أزمة عميقة، فكان مستوى المدرسين اليهود متدنياً للغاية، وأن صعوبات المعيشة التي واجهها الآباء حال دون تعليم أبنائهم بشكل مناسب. فلم يعرف الأبناء طريقة الصلوات، ولم يعرفوا في أحيان كثيرة مضمون كتاب الصلوات. وقد ذكر الحاخامات اليهود أثناء القرن التاسع عشر أن مستوى الطلاب اليهود المنتظمين في مدارسهم متدنٍ للغاية، وإن أعداداً كبيرة من التلاميذ اليهود تركت المدارس وراء الرزق. وكان من بين مظاهر التدهور أيضاً أن أوضاع المدرسين اليهود كانت متدنية للغاية فكانت أجورهم لا تكفيهم في معظم الأحيان، وفيما يتعلق بالمدارس اليهودية فقد كانت نفقاتها تأتي في معظم الأحيان من الضرائب التي كانت تفرضها الطائفة على أبنائها، والتي كانت تدعى تبرعاً[1].

---

[1] نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل الغزي، الطبعة الثانية 1991، ص 152

في المرحلة الأولى، ووثائقها نادرة، وهي عامة ولا تخرج عن الاتجاه العام في التعليم الديني وحصره برجال الدين الذين يعلمون الأولاد مبادئ الدين في الكنيس أو في البيوت (الكتاتيب)، والبنات في بيوت "الخوجة" التي تعلمهم أيضاً.

قد يرتفع التعليم في المرحلة الأولى إلى تعليم شيء من الحساب (الدوبيا) ومبادئ القراءة والكتابة. هذا ولا ننس حلقات الدرس وكانت تجري في كل المعابد ولجميع الملل، وكتب التاريخ تحدثنا عن هذا الشيء الكثير. في المرحلة الثانية ارتقى مستوى التعليم بعوامل عدة: أهمها مجيء اليهود "الفرنج" إلى حلب، وعلاقاتهم الخارجية، ثم البعثات التبشيرية وفتح المدارس الحديثة وقبول جميع الطلاب من "الملل الثلاث" كما يذكر الغزي، وأخيراً اهتمام الدولة العثمانية بالتدريس الرسمي والحديث، وقبول جميع الطلاب المسلمين وغيرهم؛ ولكن رغم ذلك فلليهود مدارسهم الخاصة، لأن الشخصيات اليهودية المستنيرة بادرت بإنشاء مدارس الأليانس، لما كانت تشعر به من قلق بالغ إزاء ظاهرة التحاق الأطفال اليهود بالمدارس التبشيرية والمسيحية والحكومية[1].

حول المرحلة الأولى، لا بد من التأكيد أن ما يقود المجتمع، هو القواعد الدينية وإن المدارس تلتزم بالتدريس الديني كما لم يكن هناك مؤسسات تعليمية دنيوية، وإن الصبيان اليهود يداومون في مدارس أبرشية تركز على مبادئ الإيمان[2]، ولا يتجاوز تعليمهم مزامير داوود. وبعد ذلك فإن متطلبات

---

[1] ماركوس ص 223

[2] ماركوس ص 223

العيش دفعت بمعظم الأطفال للدخول إلى ميدان العمل بصورة مبكرة. وما بعد ذلك، وفي المعرفة الدينية التقليدية أيضاً، كان تتم قراءة الكتب أو حضور الحلقات الدراسية أو المحاضرات في الكنس[1]. وهكذا سيطرت الموضوعات الدينية على كتابات اليهود، وبقيت مرتبطة بالاهتمامات الدينية التقليدية التي شكلت مجموعات الآراء القانونية الخاصة بالطائفة اليهودية والشروحات للكتاب المقدس التي كتبها الأحبار المحليون، وقد صدرت بعض هذه الأعمال مطبوعة في مطابع ليفورنيا واستانبول العبرية[2]، أو يأتون بها من البندقية.

لقد كان اليهود يتكلمون لغة عربية ركيكة. حتى تحيتهم الصباحية يلقونها بالعبرية[3].

لن نتطرق إلى التعليم لدى الفئة الغنية من اليهود وأكثرهم سكنوا الخانات إلى جانب الجاليات الأجنبية، فهؤلاء وثائقهم غير متوفرة لدينا. ولكن ينطبق عليهم ما ينطبق على التعليم لدى الأجانب، لأنهم ورثوا هؤلاء الأجانب، حين نقصوا أو غابوا، وورثوهم في كل شيء[4]...

في أواخر القرن التاسع عشر، وبعد وصول آثار الثورة الصناعية، والاتصال مع الخارج، وبمبادرة من الدولة العثمانية بعد حركة الإصلاح في عهد السلطان عبد المجيد، وربما قبل ذلك بقليل مع انتشار البعثات التبشيرية المسيحية الأجنبية في حلب، وبمبادرة من اليهود ذوي الأصل الإيطالي

---

[1] المصدر السابق ص 224.

[2] المصدر السابق ص 244.

[3] رسل ص 248 و249.

[4] سوفاجية، ص 207.

المقيمين في حلب، ظهرت المدارس الحديثة، وتشكلت دائرة المعارف[1]. وبرزت المدارس الحديثة لدى اليهود، وفي حي الجميلية. أولى مدارس اليهود في هذه المحلة ويقصد الغزي حي الجميلية ((منزل مستأجر مستعمل فرعاً من مدرسة ألّيانس[2] التي تقوم بإسعافها وإكمال نفقاتها جمعية حبراه في باريس، وهي مدرسة ناجحة محلها في المدينة؟ منازل تستأجرها لها مفتوحة أبوابها للملل الثلاث إلا أن تلامذتها موسويون ثم مسلمون، وأحسن ما يَبْرَعُ به طلبتها اللغة الفرنسية، وهي نهارية فقط، لا طعام فيها تأخذ من التلامذة أجرة زهيدة والفقير منهم تقبله مجاناً يزيد عدد طلبتها من الذكور والإناث في جميع فروعها على خمسمائة طالب وطالبة[3])).

في عام 1930 وحين كتب المقيم الفرنسي بحلب بول بوران كتابه، قدر عدد اليهود بخمسة عشر ألف (وتلك مبالغة، زادها الصحفي فكتور كالوس كثيراً. فجعلها ثلاثين ألفاً[4]).

ذكر بوران أن للطائفة مستشفى وميتماً. وكانت تدير ثلاث مدارس ألّيانس يهودية، ويدرّس فيها أساتذة لاينتمون للهيئة التدريسية للألّيانس، تحضر طلابها الستمائة إناثاً وذكوراً تقريباً، وما ينوف على خمسة وعشرين معلماً في حي الجميلية، وتخدم هذه المدارس الشؤون التعليمية والدينية للجالية

---

[1] الغزي، الجزء الأول، ص 137.

[2] الألّيانس الفرنسية جمعية أُسست عام 1883 لنشر المعارف لفرنسا في الخارج عن طريق المدارس للغة الفرنسية (قاموس لاروس بالفرنسية، ص 1116، طبعة 1949

[3] المصدر السابق، الجزء الثاني، ص 247.

[4] كالوس، ص 9.

اليهودية الحلبية الكبيرة بمرحلتيها التحضيرية والابتدائية[1]، وللحصول على السرتفيكا[2] والكفاءة. ولما كان المعهد الفرنسي (اللايك) قائماً[3]، فقد ضم طلاباً وطالبات من المسلمين والطائفتين اليهودية والمسيحية والتدريس فيه باللغة الفرنسية، هذا ولا ننس لطائفة يهود حلب ميتم تعلم فيه المهن وبعض العلوم.

لوحة بكتابة عبرية في كنيس حلب الكبير - بحسينا -

[1] شهادة التحصيل الابتدائي سابقاً، في التعليم الأساسي حالياً. وأرداقست سورميان... الجزء الثاني، ص 550.

[2] شهادة التحصيل الابتدائي سابقاً، في التعليم الأساسي حالياً. وأرداقست سورميان... الجزء الثاني، ص 550.

[3] المعهد الصناعي الثاني بجانب مؤسسة البريد حالياً، وقد أسس في فترة الانتداب الفرنسي مع آخر مثله في دمشق أول شارع بغداد.

في عام 1940 وفي كتاب الصحفي السيد كالوس[1] فقد ذُكِرَ للطائفة مدرستين لها ((واحدة في حي الإسماعيلية تدعي الأليانس، والثانية في بحسيتا - بندرة الإسلام، ابتدائية فقط يؤمها أبناء سكان الحي[2])). وقد عُدِّدت ثلاث مدارس للأليانس في الجميلية[3]. أما مدرسة الأليانس فينتسب إليها أبناء اليهود الفقراء والأغنياء ومتوسطي الحال وتُدَرَّس فيها العبرية والعربية إلى جانب الفرنسية. وقد تخرج منها كثيرون من الشباب اليهودي في حلب، ونالوا الشهادة الثانوية الفرنسية، وعملوا في التجارة، أو توظفوا لدى الحكومة السورية، أو لدى البيوتات التجارية والمصارف المحلية أو الأجنبية أو عملوا كمتدربين على التجارة لدى البيوتات التجارية الكبرى من مسيحية ويهودية[4]. إن اليهود الذين تلقوا تعليمهم في هذه المدارس وفي مدارس المؤسسات المسيحية، ظلوا متمسكين بتعاليم الديانة اليهودية. وعلى كل حال فلا شك أن الأنشطة التبشيرية المسيحية وصلت بالطوائف اليهودية إلى تأسيس مؤسسات خاصة بها، وساهمت في نشر الفكر الحديث في أوساط اليهود[5].

قبلت المدارس الطائفية المسيحية الطلاب اليهود. وحين افتتح المعهد الأمريكي في شارع الخندق (حالياً منعطف حي الجديدة، وموقع كنيسة

---

[1] كالوس، ص 9

[2] المصدر نفسه، والصفحة نفسها، وهي دعيت فيما بعد بتسمية عربية السموئيل

[3] أرشيف الجزء الثاني، ص 322

[4] أرشيف الجزء الثاني، ص 23 و24.

[5] اليهود في البلدان الإسلامية ص 217

البروتستانت). ثم في قرية الوضيحي، انتسب إليه الطلاب وحين يكملون دراستهم الثانوية، يلتحقون بالجامعة الأمريكية أو الجامعة الفرنسية اليسوعية في بيروت[1]، ولا شك في أن تزايد تعداد التلاميذ اليهود الدارسين في المدارس الأجنبية قد أثر في الوعي الثقافي ليهود المدينة، وأدى إلى ظهور جيل جديد من اليهود يعرف شيئاً عن تعاليم الديانة اليهودية[2]. اتجه خريجو مدارس ومعاهد حلب إلى التدريس في المدارس اليهودية وفي المدارس الرسمية، واختصوا بتدريس العلوم واللغتين العربية والفرنسية فضلاً عن العبرية في مدارس الطائفة.

أما بعض الخريجين فقد توجهوا إلى الخارج للدراسات العلمية العليا، وعادوا إلى حلب ليشكلوا فئة الأطباء والمحامين وبقية الاختصاصات[3].

ينص كتاب اليهود في البلدان الإسلامية، ص 241 ما مفاده أن: ((الأليانس: تأسست في الخمسينات من القرن التاسع عشر[4] وتضم العديد من المدارس اليهودية الحديثة في الإمبراطورية العثمانية، وكانت هذه المدارس تحظى بمساعدة مالية من قبل الشخصيات اليهودية الثرية في أوروبة التي أرسلت أيضاً مديرين إلى هذه المدارس، ومع هذا فلم يتطور نظام التعليم اليهودي في الإمبراطورية إلا بعد أن قامت هيئة الأليانس بتأسيس العديد من مدارسها في أقطار الدولة. وقد رأت هذه الهيئة التي تأسست في

---

[1] كالوس.. ص 27 و28.

[2] اليهود في البلدان الإسلامية.. ص 2 2

[3] اليهود في البلدان الإسلامية.. ص 242

[4] هكذا ورد في الأصل والتاريخ لم يعرف بالضبط.

باريس في عام 1860 أنه يتعين عليها العمل على نشر فكر حركة التنوير الأوروبية في أوساط يهود الشرق، والعمل على تقديم المساعدة ليهود هذه البلدان، كما تطلع قادة هذه الهيئة إلى النجاح في أن يجعلوا من اليهود مواطنين مفيدين لدولتهم[1]. كما قامت هيئة الأليانس بافتتاح العديد من المدارس المهنية للبنين وللبنات، تعلم فيها اليهود العديد من المهن مثل الخراطة والتجارة والحياكة وغيرها، كما سعت الأليانس إلى تأسيس مدرسة زراعية. ولا شك في أن المدارس التي أقامتها هيئة الأليانس ليهود الدولة العثمانية كان لها أعظم الأثر في يهود الإمبراطورية، ويكفينا أن نعرف أن كل الصحفيين والمؤرخين والمحامين والأطباء اليهود في الإمبراطورية العثمانية كانوا من خريجي هذه المدارس، ولعبت كل هذه الشخصيات دوراً ضخماً في تغيير أوضاع المجتمع اليهودي، وتحويله من مجتمع تقليدي يتحكم فيه الحاخامات وأثرياء اليهود إلى مجتمع حديث. وبالرغم من تعدد وجهات النظر الخاصة بأهمية الدور الذي لعبته الأليانس في تاريخ يهود الدولة، فإنه لا شك في أن هذه المدارس غيرت أساليب حياة وتفكير يهود الدولة. وبالرغم من أن هذه المدارس لم تحرص على تشجيع طلابها من اليهود على تبني أفكار الحركة الصهيونية أو على التمسك بقيم الديانة اليهودية، فإن معظم قادة الحركة الصهيونية في كل من تركيا واليونان كانوا من خريجي مدرسة الأليانس[2].

---

[1] المصدر السابق، ص 38

[2] المصدر السابق، ص 38

الأعياد ومواسم الصوم

الطائفة اليهودية في حلب، ككل طائفة أو أقلية، تتمسك بتقاليدها وعاداتها، ومميزاتها الدينية بشكل خاص، لئلا تذوب في مجتمع الأكثرية، أو تنتقل إلى الأديان الأخرى. وإن توجيه وإشراف رجال الدين في هذا المجال كبير جداً؛ ومنها تمسكهم بالأعياد وبخاصة عطلة يوم السبت.

في الأعياد، وهي أوقات الراحة من العمل، غالباً ما يلتفت المرء إلى أموره الروحية والدينية، فيرتاد بشكل خاص المؤسسات الدينية، ويجتمع مع الآخرين.

أعياد اليهود في حلب، بمجملها دينية، ولهذا يشرف عليها رجال الدين، ويؤكدونها، وخاصة وأن ذهابهم إلى الكنيس مرتين في اليوم يجعل الإشراف الدقيق لحاخاماتهم على حياتهم كبيراً، يذكر رسل: ((.. إن تمكن شعب ممقوت جداً، من المحافظة على تعاليم دينية قديمة جداً في وسط عوائق كثيرة، ما هو إلا دليل على شدة تمسكه بها، وعن روح التسامح عند المسلمين[1]..)).

أهم أعيادهم، وهو العيد المستمر في حياتهم العادية وأسبوعياً، هو يوم السبت، ولن نتعرض هنا إلى بداية الفكرة وهو بحث عقائدي طويل فضلاً عن أن الجدال بين اليهود والمسيحيين حول السبت وكلمة "سبت" تعني الاستراحة، وقد استخدمت هذه الكلمة في الكتب المقدسة دلالة على اليوم السابع.

---

[1] رسل. ص 253

هناك جدال بين اليهود والمسيحيين ((أخصص الله هذا اليوم لآدم وحواء بعد الخليقة أم منحه لليهود بعد قرون إشارة لانتهاء الخلق كما يذكر النبي موسى[1])). لكن اليهود يمتثلون بشكل صارم لهذا اليوم الذي يبدأ ليلة الجمعة عند الغروب وربما قبل ظهر هذا اليوم، وينتهي في حوالي الوقت نفسه من اليوم التالي، إذ تهتم النساء بتنظيف المنزل، وخاصة الطبقة الدنيا فهي أكثر قذارة وأسوأ هنداماً. وكما يقول الطبيب الانكليزي رسل: ((...لا يمكن العثور على شيء إيجابي أكثر حكمة من أن يفرض عليهم تنظيف بيوتهم وأنفسهم مرة على الأقل في الأسبوع[2]...)) يبدأ تنظيف قبل ظهر يوم الجمعة، ويتم طهي الطعام المخصص ليوم السبت، ثم يذهبن إلى الحمام بعد الظهر ويرتدين ثيابهن النظيفة هناك[3]. ويعدن في الوقت الملائم لإضاءة المصابيح (قبل بدء يوم السبت) وإذا حدث وتأخرن في الحمام، فلا بد من الاستعانة بالجيران المسلمين ليقمن بتنظيف ((اللمبة)) المصباح بعد ملئها بالكاز، ثم إيقادها، حتى في عصر الكهرباء يرجون أحدهم أو إحداهن للضغط على مفتاح الإضاءة الكهربائية !!

يعود الرجال من أعمالهم يوم الجمعة أبكر من المعتاد لكي يرتدوا ثيابهم النظيفة أو تنظيف أنفسهم أو القيام بأعمال منزلية ضرورية.

في يوم السبت يقيمون الصلاة في الصباح، وفي فترة الظهر لا بد من الصلاة في الكنيس، ويحضرها على الدوام كلا الجنسين. عندما يعود الرجال من

---

[1] ثرثافست-سورميان الجزء الثاني، ص 326

[2] رسل ص 249

[3] رسل ص 255

الكنيس، يجتمعون، وينتقلون من بيت إلى آخر لزيارة المرضى، وإن عدم ذهاب المرء لأداء الصلاة يجعل الآخرين يظنونه مريضاً، لأن بعض الرجال يدّعون أنهم مرضى، ولا يذهبون غالباً إلى الكنيس لكي يتجنبوا عناء القيام بهذه الزيارة الرسمية[1] ؛ أما النساء فيؤجلن زيارة المرضى إلى اليوم التالي إلا إذا كان المريض من الأقرباء المقربين.

في المساء يشاهد أعداد من الرجال يتسكعون عند باب الجنان[2]، بالقرب من حي بحسيتا والبندرة (القديم)، أو يجلسون في مدخل الحي، أو زيارة المقهى في حي الجميلية بالنسبة لساكني الجميلية[3]. يحدث في يوم السبت توقف تام عن العمل والتجارة، ولو جاءت رسالة عاجلة، فلا يفتحونها بأنفسهم، لكنهم يقرؤونها إذا فتحها شخص آخر[4].

في المنزل لا يفعلون شيئاً، وفي حال وجود مريض في الأسرة، يسمح لهم بإشعال النار بواسطة أشخاص آخرين، حتى إضاءة المصباح، ولهذا يحتفظ الميسورون منهم بخادمة بدوية أو مسيحية في البيت ؛ ويحصل الناس العاديون على مساعدة من البدويات اللواتي يحملن أوعية صغيرة فيها فحم مشتعل ويَجبْنَ شوارع حي اليهود أيام السبت ويصرخن: نار... نار للبيع

---

[1] رسل ص 255

[2] أو كما تلفظه العامة "باب حنين" قرب مركز الاتصالات الداخلي الجديد. وفندق الميراج (أمير بالاس سابقاً)

[3] سميت فيما بعد قهوة العدلي. وهذه التي تحدى فيها المليارديو اليهودي يعقوب صنوا أن يأكل صحن حمص ويدخن الأركيلة في ضوء الفم كما كتب زميله الصحفي ظافر فكتور كالوس. في كتابه "يهود بلاد الشام"

[4] رسل ص 251 الحاشية الأولى أسفل الصفحة

فهن يعلمن أن اليهود بحاجة إلى مثل ذلك[1] وخاصة لتدفئة المرضى أو لحدوثه أيام الشتاء، والنساء لا يشعلن ناراً في هذا اليوم.

أما أعياد اليهود فهي ستة، أربعة منها دينية، واثنان لهما صفة ترفيهية، ولن نتحدث عن أصولها الدينية فهذا بحث يطول، وإنما سنتحدث عن مراسيمها.

يبدأ أول عيد من أعياد اليهود "عيد العبور" مع بداية السنة اليهودية حوالي الاعتدال الربيعي. ويعتبر نيسان الذي يقع بين جزء من آذار ونيسان؛ الشهر الأول. وفي الرابع عشر من ذلك الشهر يتم الاحتفال بعيد العبور، ويليه على الفور عيد الفطير، وهما اللذان يشكلان معاً استمرارية أحدهما للآخر[2]، ويعتبران من الأعياد الرئيسية في قانون الموازييك.

يتطلب الإعداد لعيد الفطير جهداً كبيراً، ويستغرق ذلك عدة أيام. ويعتبر وجود فطير في المنزل أمراً خطيراً عند اليهود الشرقيين؛ إذ يتم تفتيش ونبش كل بقعة وزاوية من البيت، وتنظيفه بعناية فائقة، وتطلى أدوات المطبخ النحاسية بالقصدير، لتبييضها من جديد. ولو رأى أحد البعيدين عن الأمور الدينية الحصر والسجاجيد والأغطية التي يتم فركها ودلكها بعناية في تلك المناسبة، وهي معلقة في الهواء، لظن أنه في بلد معرض للإصابة بأمراض معدية، إذ لا تُرى مثل هذه الأمور في الفصول الأخرى من السنة[3].

---

[1] رسل ص 251 الحاشية الأولى أسفل الصفحة.

[2] رسل ص 251 الحاشية الأولى أسفل الصفحة.

[3] رسل ص 171 الحاشية الأولى أسفل الصفحة.

يستمر العيد ثمانية أيام، ويتصرف اليهود فيها كما يتصرفون أيام السبت، سوى أنهم يشعلون النار ويطبخون الطعام؛ ولا يظهر الرجال في الأسواق. ورغم أن التجار لا يقومون بأعمال هامة خلال الأيام الخمسة الواقعة بين اليوم الثاني والثامن، أو أنهم يقومون بأعمال بسيطة، فإنهم يترددون على السوق لبعض الوقت لرؤية أصدقائهم وقضاء وقت ممتع[1].

يُحَضِّر خبز الفطير بشكل خاص من دقيق ناعم على شكل أقراص رفيعة جداً؛ ويُعدُّون حلوياتهم بأنفسهم، ويقومون بتنقية السكر بعناية، علماً أن الحلويات التي يبيعها صانعو الحلوى أقل نقاوة ومعرضة للتخمر، ويستعمل فيها العسل بدلاً من السكر.

يرتدي الجميع ثياب العطلة، ويُتَوِّج الأطفال بأطواق من الورد، وتعرض النسوة حليهن وثيابهن الجميلة[2].

بعد خمسين يوماً من اليوم الثالث من عيد العبور، يُحتفل بعيد العنصرة، ويستمر يومين فقط.

العيد الرابع "قبة العهد"، وذكره الغزي "عيد المظال" وتُتَخذ فيه مظلات لليهود[3]، تصنع من القصب الفارسي الذي يوجد في جميع بساتين حلب وجهات ولايتها.

---

[1] رسل ص 171 الحاشية الأولى أسفل الصفحة

[2] رسل ص 251

[3] الغزي الجزء الأول، ص 105 وأرناؤوط سورميان الجزء الثاني، ص 327

يبدأ في اليوم الخامس عشر من شهر "تيسري" الشهر السابع من السنة المقدسة، ويستمر تسعة أيام. وفيه تتجول النساء جماعات حتى المسلمات[1]، بين بيوت اليهود لمشاهدة قبة العهد، ونادراً ما يُمنعن من الدخول.

يُقَدَّم في هذا العيد القهوة والحلويات والمشروبات لمعارف الأسرة، أما الآخرون فيشبعون فضولهم بالنظر وينسحبون، نورد فيما يلي وصفاً قدمه الأخوان الطبيبان الكسندر وباتريك رسل في كتابهما "تاريخ حلب الطبيعي، في القرن الثامن عشر[2].

((تُبنى قبة العهد بطرق مختلفة، وتوضع في أماكن مختلفة بحسب حجم ووضع البيت. إذ توضع في بعض الأحيان فوق مصاطب صغيرة أمام الغرف العليا، وتوضع في معظم الأحيان في الباحات. أما البيوت التي تقطنها عائلات عديدة فهم ينصبون قبة العهد على الأماكن العالية المسطحة من البيت، لأنه مهما كانت الأسرة فقيرة، فيجب أن يكون لها قبة عهد خاصة بها.

تتمثل الطريقة الاعتيادية في إقامتها بربط أربعة أعمدة رفيعة بزوايا أريكة خشبية لكي تَستند من جميع الجوانب بشبك من القصب الأخضر (ذكرنا فيما سبق أن القصب الفارسي متوفر في بساتين حلب). ولا يترك سوى فراغ واحد في المقدمة كمدخل. يُغطى سقف القبة بالقصب دون نزع الأوراق عنه، ويغطى من الخارج بالريحان الطازج.

---

[1] الغزي. الجزء الأول. ص 105 وأرفاسست سورميان. الجزء الثاني. ص 327

[2] رسل. ص 196

يُعلق في داخل القبة قماش شيت، وتوضع أفضل الوسائد والسجاجيد على الأريكة؛ وتتميز هذه الأرائك الخشبية بسهولة نقلها، ويمكن جمع أريكتين أو أكثر معاً.

في بعض البيوت الهامة، يقام كشك خشبي دائم فوق مصطبة حجرية في وسط الباحة لهذه الغاية، ويكون مشبكاً ويغطى بالقصب وأغصان الريحان، وتكون الأريكة هنا والمعلقات أكثر ثراء، ويزين الباب والنوافذ بأطواق من الأزهار والتزيينات الأخرى المصنوعة من البرق (أقراص رقيقة جداً مثقوبة وملونة) والورق المذهب، كما تستخدم طريقة أخرى لتفادي الأوساخ التي تنجم عن تساقط أوراق القصب والريحان الذابلة، بإقامة كشك مؤقت من أعمدة صغيرة توضع في الأعلى، وتُجعل بأطواق من الأعلى إلى الأسفل ببذور القطن، وتعتبر هذه المعلقات بمثابة الجدران وتُغَطّى جميعها بالحصر.

يُجلب القصب من بساتين حلب. أما الريحان فيجلب من إنطاكية، ومناطق أخرى، ويعرض كلاهما بكميات كبيرة للبيع في سوق بحسيتا، كما يجلبون من اللاذقية أو طرابلس أغصان الحمضيات أو سعف النخيل اللازمة لأداء الشعائر داخل الكنيس، وتصل هذه المواد قبل عدة أيام من بدء العيد، ويوزعها الحاخام...))

يتابع الطبيبان الكسندر وباتريك رسل في كتابهما ((يستضيف اليهود في قبة العهد زوارهم من جميع الأديان؛ ويتناولون طعامهم فيها طيلة أيام العيد، كما ينامون فيها عادة، إلا إذا كان الطقس بارداً بشكل غير اعتيادي. لكن صباحات وأمسيات تشرين الأول منعشة دائماً.

إن المرضى غير ملزمين بتعريض أنفسهم لتلك العادة، خاصة إذا هطلت الأمطار في الليل، علماً بأن أمطاراً غزيرة كانت قد هطلت في بعض السنوات، وأحدثت اضطراباً عاماً، لأن أساس قبة العهد لايكون متيناً بحيث فلا يمكنه مقاومة العاصفة.

يبدو هذا العيد في نظر الغرباء أكثر روعة من أي عيد آخر لليهود، إذ يستضيفون الآخرين في بيوتهم، ويرسلون هدايا من أنواع مختلفة من الحلويات إلى أصدقائهم، وتتوقف جميع الأعمال.

إن الجو المفعم بالمرح الذي يسود عيد قبة العهد وإن تسمية "عيد الله" أثار فكرة خاطئة لدى الوثنيين بأنه احتفال يقام على شرف باخوس[1]، كما يبدو من إشارة للمؤرخ اليوناني بلوتارك، وقد رأيت كثيراً من اليهود، وهم يحملون أغصان الحمضيات والنخيل بأيديهم[2] وهم يسيرون إلى الكنيس[3])).

من تقاليد هذا العيد ينتقل عدد كبير وأكثرهم من الفئة المتوسطة والفقيرة إلى تادف لزيارة كهف النبي العزير حيث يضاء فيه سراج ليلاً ونهاراً وحوله شبه معبد ويقضي فيه اليهود وقتاً[4] في عيد المظال أيضاً لدى اليهود حيث يُجنى الرمان - وما أشهر رمان الباب وتادف - يؤتى بضرب من الكلأ الطويل ينبت على شواطئ الفرات، ويفرش على الأرض، ويجمع فوقه الرمان. ثم يدثر بالكلأ نفسه، ويظل مدثراً مدة لاتقل عن عشرين يوماً، ثم

---

[1] باخوس إله الخمر

[2] يذكر ذلك بعيد الشعانين عند المسيحيين. ويحملون فيه أغصان الزيتون، ذاهبين إلى حضور القداس

[3] رسل ص 252 و 253

[4] موسوعة الأسلامي المجلد الثاني. ص 234 وموسوعة الأسلامي المجلد الخامس. ص 129

يطلق للبيع رماناً لذيذاً جداً. والصابور من لهجة أهالي الباب، وبنوها من فعل صبر على الشيء أي تريث[1].

العيد الخامس عيد النفير، ويطلق عليه اليهود اسم رأس السنة، ويصادف الأول والثاني، من شهر تيسيري (أيلول). إنه عيد السنة الجديدة اليهودية. إذ تبدأ السنة المدنية اليهودية بشهر تيسيري، وهو الشهر السابع من السنة المقدسة، تبدأ السنة المدنية مع ظهور القمر الجديد للاعتدال الربيعي. وكما هو معروف فإن جميع الأمور السياسية تنظم على أساس السنة المدنية، وهي الأكثر قدماً، وربما هي نفس السنة البطريركية التي يفترض أنها بدأت أصلاً عند الخليقة (هاناكا).

لاتوجد مظاهر خارجية تميز هذا الاحتفال، سوى أنه يمكن سماع الصبية من حين إلى آخر في المنازل وهم يثنون قرون الكباش[2]؟!

العيد السادس[3]. ويدعى عيد التكريس، ويستمر ثمانية أيام، اعتباراً من الحادي والعشرين من كانون الأول، ولا يتمتع بنفس الصفة الرسمية والدينية كالأعياد السابقة.

العيد السابع والأخير هو عيد بوريم (عيد الغور) الذي يحتفل به اليهود في الرابع عشر من شهر آذار ويسبقه صوم. يعتبر اليهود يومي عيد بوريم ككرنفال، يقضونه في مرح وحبور[4].

---

[1] موسوعة الأسلي. المجلد الثاني. ص 234 وموسوعة الأسلي. المجلد الخامس. ص 129

[2] رسل. ص 252 و 253

[3] رسل. ص 252 و 253

[4] رسل. ص 253

عيد خاص بيهود حي بحسيتا وأكثرهم الفقراء، وهو تمضية أيام الصيف الحار في تادف أو منبج حيث في تادف مزار يهودي للنبي اليسُوع.

أما البورجوازيون فيصطافون في جبال منطقتي اسكندرون وإنطاكية.

لا تقل مواسم الصوم السنوية عند اليهود الحلبيين أهمية عن أعيادهم التي يتمسكون بها. وهي كثيرة تجري في مناسبات متعددة :

صوم يعقب رأس السنة المدنية الجديدة مباشرة، يدوم أربعاً وعشرين ساعة كاملة، وقلما تُعفى النساء الحوامل أو الأشخاص المرضى منه، علماً بأنهم يُعْفَوْن في مناسبات أخرى كالصوم في يوم الكفارة (صوم كيبور)، وإذا تم الإعفاء منه خوفاً من تعرّض حياة الفرد للخطر، ولكن يقرر ذلك الطبيب. ويزعم بعض العامة الجهلة من المسيحيين الحلبيين[1] أن اليهود يضحون في هذه المناسبة في بعض الأحيان بطفل مسيحي يخطف من أبويه[2]، ولعل القس الانكليزي بيدولف يلمح إلى هذه القصة التي لا أساس لها من الصحة في عام 1600م[3].

صوم بمناسبة رجوعهم من الأسر، ويتم في اليوم العاشر من (تيبث) الذي يقع بين كانون الأول وكانون الثاني.

صوم آخر يبدأ يوماً واحداً قبل عيد بوريم (الغفران) في الثالث عشر من آذار.

---

[1] رسل ص 253

[2] رسل ص 253

[3] رسل ص 254

صوم آخر يجري لإحياء ذكرى الدمار الذي أصاب المدينة المقدسة وآخر بمناسبة الاستيلاء على المدينة (شيبا عاسار بي تموز)، وآخر في اليوم التاسع من آب بمناسبة حرق المدينة والمعبد (تشعابي آب).

هناك صوم طوعي لا يتمسكون به باستمرار، وآخر للمولود الأول (تاعانيت بيجوروت)، وآخر أيام الاثنين والخميس لمدة ستة أسابيع في شهري كانون الثاني وشباط (تاعا ينت شوبايم)، وثمة صوم شخصي بمناسبة الذكرى المئوية لموت الوالدين[1]. إلا أن أكثر أنواع الصوم الطوعي إثارة للاهتمام هو الصوم لمدة ستة أيام كاملة يمتنع الصائم فيها عن تناول جميع أنواع الغذاء، ويعاني الصائمون من امتناعهم عن شرب الماء أشد المعاناة، كما أنهم يقلعون عن التدخين الأمر الذي يعتبرونه كذلك مشقة جسيمة، ويسمون هذا الصوم[2] (تاعانيت شابواع). إن عدد الأشخاص الذين حاولوا أداء هذا الصوم قليل جداً.

نظراً لارتباط اليهود بالتجارة العالمية إلى حد كبير، فإن صومهم وأعيادهم، تكاد تحدث جموداً في التجارة.

إنهم لا يعيقون انطلاق القوافل الكبرى مثلاً، بل يؤخرون مسيرتها وهي في الطريق؛ ويضطر الباشوات والأعيان، إلى تأجيل إرسال سلعهم عندما تتصادف مع الأعياد اليهودية. ومن عادة اليهود وهم في الصحراء في القوافل المتجهة إلى البصرة أن يحصلوا على موافقة من رئيس القافلة (قافلة باشي)،

---

[1] رسل ص 254

[2] رسل ص 254

ليجعل القافلة تنطلق يوم الجمعة وتستريح يوم السبت، ثم تتابع سيرها يوم الأحد. أو أن تحملهم وهي في الطريق، ويلحقون بها آخر يوم السبت، وعندما تتصادف مع زمن انطلاق القافلة من المدينة، يجدون عادة الوسيلة للسيطرة على ((القافلة باشي رئيس القافلة)) لتأخير انطلاقها حتى انتهاء العيد[1].

[1] رسل. ص 255.

الفصل الحادي عشر

العادات والتقاليد

اللباس والطعام

لا نعرف سوى شذرات نادرة عن حياة اليهود الاجتماعية عامة، وكذلك لباسهم وطعامهم خاصة في أوائل القرن السادس عشر (1516)، وما وصل إلينا كان من تقارير الرحالة الأجانب أو من علاقاتهم التجارية المرتبطة بالأجانب خلال الفترة الأيوبية التي فصّلت في الأعمال التجارية بحلب.

في الفترة المملوكية، ولرغبة السلاطين المماليك ونوابهم في أرجاء الدولة، جمع الأموال من الأغنياء واللعب في إنقاص وزن النقود المستعملة آنذاك، عرفنا أنه تم اضطهاد أهل الذمة، والأغنياء اليهود منهم خاصة.

خلال حكم الأتراك العثمانيين في حلب الذي انطلق في معاملة الرعية وفق الشريعة الإسلامية، وبعد أن انتقل اليهود من وضعهم كأهل الذمة إلى الرعية، تمتعوا بامتيازاتهم التي احترمها العثمانيون، ولكن في الفترة الأخيرة من حكم الأتراك العثمانيين، وبعد أن انتقلت الفوضى إلى اليهود فأصبحوا "كفاراً" بقيت لهم حمايتان؛ الأولى ارتباط أغنياتهم بالجاليات الأجنبية وامتيازاتهم، خاصة وأن بعضهم كان يحمل الجنسيات الأجنبية وكونهم قناصل فيدافع عنهم سفراؤهم في استانبول، والثانية دفع الأموال السخية للمسؤولين العثمانيين في حالات خاصة أو مطالب خاصة.

رغم ذلك، فقد حافظ العثمانيون على ما كان سائداً قبل عهدهم من أزياء أهل الذمة تمييزاً لهم عن المسلمين، وكانت القيود على اللباس أكثر الميزات المزمنة[1]، لغرض واضح في تمييزهم بصورة مرئية عن عناصر الأديان السائدة؛ حتى إن الحكام كانوا يصدرون دورياً أنظمة تخص الملابس بفرض قيود جديدة على الألوان المسموح بها. ففي عام 1775، عندما أعلن محمد باشا عن إصلاح بخصوص لباس الذميين، بقي هؤلاء في بيوتهم معترضين لمدة أحد عشر يوماً[2]؛ وبعد مساومات، وافق الباشا على سحب أمره مقابل دفعة كبيرة من المال[3]، يذكر الأسدي[4]. ((وفوق السربوش (يقصد الطربوش كما هو معروف) منديل أسود، أو مرقش بنقاط حمراء؛ أو سربوش فقط[5])). لقد تمت المحافظة على التمييز في الملابس حتى في الحمامات العامة، حيث كان الرجال من غير المسلمين يُزودون بأثواب تحمل علامات خاصة. وكان يُطلب من النساء المسلمات استخدام الحمامات المنفصلة، وحسب القاضي الذي أعاد تأكيد هذا العزل عام 1762، اعتبر أن كشف المرأة المسلمة عن نفسها أمام الأنثى الذمية، إثماً مماثلاً لحسر الرأس أمام الرجل.

عندما احتل المصريون بلاد الشام، خففوا كثيراً من القيود المفروضة على أهل الذمة؛ كسباً لرضاء الدول الأوربية. وعندما خرج إبراهيم باشا من بلاد الشام

---

[1] نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل الغزي، الطبعة الثانية 1991، ص 162

[2] ماركوس، ص 54، وموسوعة الأسدي، المجلد الرابع، ص 273

[3] ماركوس، ص 54، وموسوعة الأسدي، المجلد الرابع، ص 273

[4] ماركوس، ص 54، وموسوعة الأسدي، المجلد الرابع، ص 273

[5] ماركوس، ص 54، وموسوعة الأسدي، المجلد الرابع، ص 273

في عام 1840. أعيدت القيود السابقة على أهل الذمة[1]. وفي عهد السلطان عبد المجيد أزيلت الفوارق[2].

لباس الرأس عند الرجال اليهود قبل عام 1600 قبعات حمر دون حافات فجعلها الصدر الأعظم بلون أزرق، وهي العمامة لكنها أوطأ قليلاً من عمامة المسلمين والشاش مخطط بلون أحمر، ثم أُبدلت العمامة، بالطربوش كباقي السكان، ولكنهم يعْتَمُّون فوقه بمنديل أسود أو مرقش[3] بنقاط حمراء، ولكن هذا المنديل قد أزيل فيما بعد وبقي الطربوش. لكن كهنة اليهود استمروا يضعون فوق الطربوش نسيجاً أسودَ يطوونه طياً ضيقاً، ويلفونه متراكماً بعضه على بعض دوراً فوق دور، ويرسلون وراءه الطرة[4].

أما اللباس العادي وللجميع فهو "القنباز"، يُدَوَّر فوقه زنار من الشال العجمي أو الهندي أو غيرهما، ويُلبس تحت القنباز سروال من القماش الأبيض غالباً أو المصبوغ بالنيل[5]، ويشد من وسط لابسه إلى قرب قدميه عند المسلمين أو إلى ركبتيه عند النصارى واليهود[6]، ويستران سيقانهما بالجوارب. الأغنياء يلبسون فوق القنباز دثاراً يعرف بالكبود، ويصنع غالباً من الجوخ. وإن لون الأحذية بنفسجي[7].

---

[1] يهود دمشق، د. يوسف نعيسة، دار المعرفة دمشق، الطبعة الأولى 1988، ص 32.

[2] يهود دمشق، د. يوسف نعيسة، دار المعرفة دمشق، الطبعة الأولى 1988، ص 32.

[3] الغزي، الجزء الأول، ص 223.

[4] المصدر السابق، ص 224.

[5] المصدر السابق، ص 224. والنيل اللون الأزرق، مصدر نباتي لصباغة الأقمشة عرف في حلب حتى بداية القرن التاسع عشر، وكان يأتي به من اليمن.

[6] المصدر السابق، ص 224.

[7] المصدر السابق، ص 224.

إن كهنة اليهود، وشيوخ الإسلام وقساوسة المسيحيين يلبسون فوق ثيابهم جبة واسعة، عريضة الأكمام... منتفخة الآباط.

مع ازدياد العلاقات مع العالم الغربي، أصبح السراة يتبعون في ملابسهم الزي الغربي فيلبسون السترة والبنطلون، ويستعملون جميع ما يستعمله الفرنج في ملابسهم سوى القبعة، فإنهم يعتاضون عنها بالطربوش. ولكن بقيت اللحى مسترسلة حتى لدى اليهود الفرنسيين[1].

لباس اليهود: لحية الرجل وزينة المرأة وعمامة الرجل الثالث إلى اليسار وعباءته

أما الأحذية فيمكن تمييز اليهودي واليهودية بسهولة من الحذاء "البنفسجي" اللون. ولكنها في القرن التاسع عشر أصبحت سوداء على نسق القارب له حذاء غليظ، والبابوج يستعمله رجال الدين وقد خف استعماله، واستعيض عن الاثنين بالقندرة.

---

[1] المصدر السابق، ص 224.

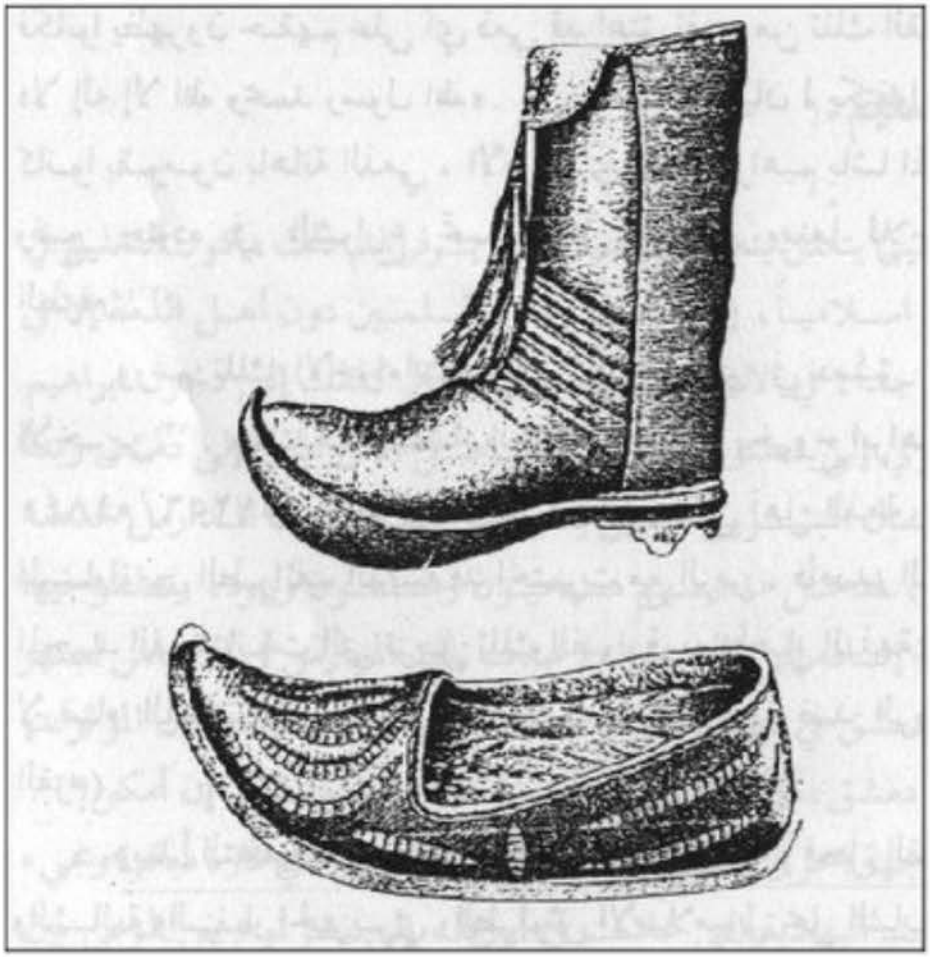

بعض أحذية اليهود التقليدية

فيما كانت النساء المسلمات في غاية التحجب والتصون، قد أسدلت على جسمها عند خروجها إلى مهامها إزاراً (ملاءة) يسترها من فرقها إلى قدمها، وعلى وجهها منديل رقيق يشف لها طريقها ولا يشف عن وجهها[1]؛ كانت نساء اليهود يستعملن الإزار كالمسلمات، إلا أنه كان أقصر، وليس من عادتهن وضع المناديل على وجوههن في القرن العشرين، لكنهن يتحجبن قبل ذلك كما ذكر الرحالة؛ ولون حجابهن أبيض.

---

[1] المصدر السابق، ص 225.

لباس حاخام يهودي

ليس لُبس القفلز معتاداً إلا عند المتفرنجات منهن[1]. كانت لحى اليهود طويلة، ويطلق الجميع لحاهم، وقد أرغم الحاخام اليهودي الإفرنج على اتباع هذه العادة.

[1] المصدر السابق، ص 227.

بعد الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 ، وبعد تغير ألوان القبعة والحجاب والأحذية في الفترة العثمانية وهي تارة أحمر أو أزرق أو بنفسجي، لم يعد لباس اليهود يختلف عن لباس المسلمين والمسيحيين؛ فظهرت النساء في الشوارع سافرات، وتخلى الشباب عن القنباز والسروال[1] وتعمموا (بالبرنيطة) بدلاً من الحطاطة الزرقاء، وأصبحت الأزياء الحديثة تستهوي النساء اليهوديات، واحترفت سيدات يهوديات الخياطة مثل ليندا كوهين وسميرة أشكنازي.

أما الرجال فقد كان لديهم خياطون يفصلون لديهم البدلة الأوروبية الأنيقة، ومن أشهر الخياطين عزرا شحيبر وإلياهو صباغ وإيلي جيجاتي، وقد تتلمذ على أيديهم كثيرون. برعوا في عملهم، ثم سافروا إلى أمريكا وبرعوا هناك[2].

طعام اليهود، وفق تعاليمهم الدينية الصارمة، وتبعاً لمواسم الصيام القاسية أحياناً، وإشراف حاخاماتهم المباشر على بعض أنواع الأطعمة، كل ذلك كان يميز طعامهم.

عرف الجبن اليهودي بأشكاله ومادته ونكهته، بحيث تسارع أهالي حلب إلى وضع المؤونة منه إلى أيام الشتاء. أما اللحوم فهي تذبح وتحضر بطريقة خاصة ولدى جزارين خاصين ويشرف عليها رؤساؤهم. وهناك ستة حاخامات للإشراف على ذبح الخراف من بين خمسين حاخاماً، بحيث

---

[1] كالوس ص 39.

[2] كالوس ص 39.

يفرض الحاخام "دمغته" على اللحم الذي يتم شراؤه من جزارين مختصين يذبح في المسلخ وفق الشريعة اليهودية. ويذبح الدجاج بيد رجال الدين بعد فحصه جيداً، وله طريقته، إذ يفحص الدجاج، ويرمى المريض منه فيلتقطه الأولاد من حوله.

أما الأرنب العادي، وليس البري، فيربى في البيوت لتقديمه إلى الإفرنج، لا يتناوله اليهود شأنه شأن الأرنب البري الذي يحرمه موسى[1].

قد حرم اليهود أكل لحم الخنزير[2]. وسليمان (يقصد الأسدي النبي) ما حوى الخنازير لأن مشاهدتها في شرع التوراة حرام[3].

أما خبز الفطير، فهو بشكل عام يخبز من دقيق ناعم ويفتت حين الطعام لأنه بلا خميرة، ويباع في أفران اليهود خاصة ولليهود، ويحمل إلى البيوت حسب التواصي، أما ما يقدم في صوم يوم الكفارة أو صوم كيبور أو عيد الغفران من الخبز الفطير، فقد أصبح مثار جدل ونقاش، بسبب ما أورده من ((زعم بعض العامة الجهلة من المسيحيين الحلبيين، حتى لدى بعض المسلمين[4] أن اليهود يضحون في هذه المناسبة في بعض الأحيان بطفل مسيحي يخطف من أبويه[5])). ويقول رسل ((.ولعل القس الإنكليزي

---

[1] أرنافست الجزء الثاني، ص 322

[2] أرنافست الجزء الثاني، ص 322

[3] أرنافست الجزء الثاني، ص 322

[4] أذكر ذلك وأنا صغير السن في الثلاثينات من القرن العشرين، أن أمي كانت تنهاني عن اللعب بعيداً عن البيت، لئلا يخطفني اليهود ويضحوني في سرهم فيه لمشواك تقتلني ويصفى دمي

[5] رسل ص 253

بيدولف يلمح إلى هذه القصة التي لا أساس لها من الصحة في عام 1600...))
ويتابع رسل: ومع ذلك فقد اعترف بعضهم بأن أطباءهم يقتلون أي مريض مسيحي أو آخر يقع تحت أيديهم في ذلك الوقت بدلاً من الأضحية[1])).

يورد الصحفي ظافر فكتور كالوس حادثاً في حلب... ويقول: ((في حلب في العام 1927 غاب عن حي الجميلية فتى من عائلة سكياس كانت عائلته تقطن الحي، ولم يعثر عليه، وقد تبين أن عصابة يهودية مزقته وقتلته واستخدمت دمه في خبز الكيبور الفطير، وقد كان يومئذٍ السيد مصطفى برمدا والي حلب فلم يستطع إخفاء الجريمة في عهده، فقدم استقالته من منصبه، وكانت السلطات التركية قد أخفت الجريمة وطوت التحقيق مقابل رشوات مادية ومغرية بذلها يهود حلب الأثرياء، وعاونتهم السلطة الفرنسية آنذاك على كتمانها. وقد لعبت امرأة يهودية عاهرة دوراً خطيراً لدى الضباط الفرنسيين لطي التحقيق في هذه الجريمة[2])).

الوفاة ومراسم الدفن

معدل الوفيات في حلب حتى وقت قريب، مرتفع، وإن متوسط العمر في مجتمع ولود، تصل نسبة الولادات فيه رقماً مرتفعاً، لم يكن يتجاوز الخمسين سنة إلا قليلاً. فضلاً عن تفشي الأمراض، وأهمها الطاعون الذي انتشر ربما بشكل خاص في القرن الثامن عشر. وقد حدثنا عنه الطبيبان الأخوان الإنجليزيان رسل في كتابهما بالتفصيل، والغريب في الأمر أن يذكر

---

[1] المصدر السابق ص 254

[2] كالوس ص 55 و56

رسل أن نسبة المسيحيين الذين ماتوا نتيجة إصابتهم بطاعون عام 1742 كانت حوالي خمسة في المائة، بينما توفي من اليهود حوالي عشرة في المائة[1].

عُرف عن اليهود الشرقيين، اعتناؤهم الكبير بالمصابين بأمراض مزمنة. وتأخذ قريبات المريض على عاتقهن العناية به، ويُطِعْنَ التوجيهات التي تقدم لهن بدقة[2]، ويقدمن تفاصيل دقيقة عن حالة المريض أثناء زيارة الطبيب.

يقدم الحاخامات عزاءً روحياً للمرضى، وقد شوهدوا في بعض الأحيان، وهم يرفقون صلواتهم بطقوس تبدو غريبة وسطحية[3]: يجلس الحاخام بالقرب من السرير وبيده سكين، تعلق على طرفها قطعة صغيرة من الخبز. وبعد أن يتفوه بعدة كلمات يقربها من صدر المريض، حيث يبقيها فترة من الزمن، ثم يوجهها إلى خصره، ثم إلى معدته وبطنه ويدمدم أثناء ذلك بكلمات غير مفهومة. ويحاول تهدئة العائلة المهتاجة.

يحيط الأقارب بالمريض في ساعاته الأخيرة، ولا ينقلونه من بيته، ليموت فيه.

حالما يتوفى المريض تنفجر نساء البيت بعويل واضح، وصيحات مرتفعة يكون لها صدى في الحي[4] وتُعلن المأساة للعامة.

---

[1] رسل. ص 91

[2] المصدر السابق. ص 258

[3] المصدر السابق. ص 258

[4] ماركوس. ص 269

خلال يوم أو ما يعادلهُ تكمل العائلة كامل مجموعة الطقوس لدفن الميت بعد غسله ولَفّه بكفن وتحضيره للدفن. في حين تندبه النساء، أو تستأجر نادبات للمساعدة في إطلاق الولاويل[1]. والعادة لديهم أن لا تغيب الشمس على أي ميت.

يُحمل جثمان الميت في موكب إلى مكان العبادة المناسب لتقديم الطقوس الدينية، ومن هناك إلى المقبرة في نعش مغطى. ويحمل التابوت بين ثلاثة أشخاص ولا يرافقه إلا الرجال. ويجب على كل من مرُّت به الجنازة أن يمشي معها لا أقل من أربعة أذرع، ويطلب من الميت السماح. أما النساء فيبقين مجتمعات في بيت المنكوب، إذ حَظَرَ اليهود على النساء اتباع الجنازة إلى مكان دفنها، فالجنائز تميل أن تكون أكثر هدوءاً وتحث على القول بتشبيه القضية الوقورة والسريعة بجنازة يهودية[2].

يعود أقارب الميت والأصدقاء إلى بيت الميت، وفي أثناء الطريق يغسل يديه كل من حضر مراسم الدفن، ويقول بالعبرية ما معناه: أعيننا ما رأت وأيدينا ما سفكت هذا الدم[3].

تزور النساء المقبرة في صباح اليوم التالي للجنازة، وفي صباح اليوم السابع والثالث عشر، وينهب بعضهن إلى المقبرة صباح أيام الأسبوع الأول، وفي هذه المناسبات لا يقل صراخهن عن النساء المسلمات، ويخرجن في آخر

---

[1] رسل ص 258

[2] ماركوس ص 269

[3] الغزي ص 209

زيارة في الذكرى السنوية للوفاة، أما الرجال فيزورون المقبرة في اليوم الأول، وفي اليوم السابع والثلاثين، ومرة أخرى عند انتهاء السنة[1]. تلك هي العادات السائدة، رغم عدم التمسك بها بشدة. ويزور الأقارب قبور الأحبار الذين يحظون باحترام صباح كل يوم جمعة لمدة اثني عشر شهراً[2].

يدخل كلا الجنسين شيئاً من التغير في لباسهم أثناء الحزن، فلا ترتدي النساء حليهن. أما الرجال فيشقون شقاً صغيراً في ثوبهم الخارجي[3]، وكذلك النساء.

في جميع مناسبات الحزن هذه يحضر الأقارب والأصدقاء طقوساً دينية خاصة للميت في بيت العبادة ويزورون القبر. وتقوم العائلة بدورها بفتح البيت واستضافة الزوار وتوزيع الطعام والمال على الفقراء، الذين يأتون للاستفادة من هذه الصدقة المألوفة[4]، والطعام يرسله أحد الحاضرين ويأكل منه ورثة الميت، وهؤلاء يجلسون في بيوتهم مدة سبعة أيام لا يشتغلون فيها مطلقاً.

هذه المراسم تتطلب نفقات قد لا يتحملها الفقير اليهودي، لهذا كانت نفقات الدفن للأفراد الفقراء تُقدم من صندوق الطائفة، الذي كان يسحب نقوده، مثلما يتم تمويل المرضى، من الضريبة الجماعية. وخلال طاعون عام 1787 أمر الزعماء بجمع ضريبة طوارئ للمساعدة على تلبية المتطلبات الثقيلة حول التمويل بواسطة النقاط للعائلات الثكلى[5].

---

[1] رسل ص 258

[2] رسل ص 258

[3] رسل ص 258

[4] ماركوس ص 269

[5] المصدر السابق، ص 271

مقابر اليهود، كأي مقبرة أخرى، بعيدة وخارج أسوار المدينة، وإن باب النصر المؤدي لها، كان اسمه، كما هو معروف، باب اليهود فهو قريب من حي البندرة حيث يكثر اليهود، وكانوا يخرجون منه لمقابرهم. كانت المقابر في أرض المشنقة، العزيزية حالياً، وبالقرب من كاتدرائية اللاتين. وبعد عام 1915، وبعد أن كثر إعمار حي العزيزية، بدأ دفن اليهود بعيداً عن محيط المدينة الحديثة شمال غرب محطة بغداد بالقرب من المقبرة الفرنسية[1].

مقابر أخرى لليهود كانت قرب السليمانية، والآن استولت عليها البلدية (كما يقول الأسدي) وأصبحت بنايات[2]. وفي عام 1926 أزيلت مقابر اليهود وشيدت مكانها كاتدرائية اللاتين المعروفة في حي العزيزية[3].

---

[1] بول بوران ص160

[2] موسوعة الأسدي ... المجلد الثالث ص29

[3] تاريخ حلب، الجزء الأول ص 164، الأسقف لوداڤست سورميان، ترجمة د. الكسان كشيشيان، دار النهج بحلب 2003

الفصل الثاني عشر

الحركة الماسونية

الماسونية أو جماعة البنائين الأحرار، منظمة دولية سرية، تحيط الرمزية والسرية بطقوسها واجتماعاتها.

عُرفت في أوروبة في القرون الوسطى، وبتسميتها: ((الماسون أو البناؤون)) بناة هيكل سليمان من اليهود؛ ولهذا ارتبطت الماسونية باليهودية العالمية والصهيونية.

أقيمت محافلها أو جمعياتها المحلية في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية ومستعمراتها. ونشرت بياناتها على أنها منظمة (خيرية) وطنية، شعارها المساواة والإخاء والحرية، وبعيدة عن مشاكلات السياسة، وتؤمن بالتسامح والسلام[1]؛ لكن المتبعين لنشاطها ينعون عليها انغماسها في الطائفية والسياسة ومناهضة الروح الوطنية والقومية، وأن الأخوة الماسونية تعلو على الأخوة في الوطن[2].

انتشرت الماسونية في العالم العربي، ولدى قيام الحربين العالميتين الأولى والثانية، ولارتباطها الدولي، فقد أُغلقت محافلها.

---

[1] نهر الذهب في تاريخ حلب. كامل الغزي. الطبعة الثانية 1991. ص 152

[2] المصدر السابق. ص 10

وفي سورية مُنعت منذ ستينات القرن العشرين، حيث كانت منتشرة في دمشق.

أما في حلب فقد كان للماسونية محفلاً ضم عدداً كبيراً من اليهود جلُّهم من ذوي الثراء الواسع، منهم رحمونحماد وعدداً من عائلة بيجوتو الذين وصلوا إلى رتب عالية فيها[1]، فضلاً عن عدد من الشباب اليهودي؛ وعرف عن سامي الشوا كمنجاتي (عازف على الكمان) أنه يعد من أساطين الموسيقى أصله من حلب من بيت الشوا واستقام في مصر مدعوماً من الماسونية[2].

لقد كان للمحفل مركز كبير (لوج) في شارع الخندق، ونشاطه واسع.

كما توقفت المحافل في دمشق، فقد توقف محفل حلب مع بداية هجرة اليهود منها.

---

[1] تاريخ اليهود في بلاد الشام، ظافر فكتور كلوس، ص 85.

[2] موسوعة الأسلمي، المجلد الرابع، ص 302.

الفصل الثالث عشر

الهجرة

هجرة اليهود إلى حلب ومنها

أقدم المعلومات التي قدمها لنا المؤرخون الباحثون الأجانب أمثال ج سوفاجية والأخوان رسل وأبراهام ماركوس، مستندين إلى وثائق قديمة باللغة اليونانية؛ تفيد بنقل اليهود وإسكانهم من قبل سلوقس نيكاتور اليوناني (312 - 280 ق.م) في المعمّرة اليونانية التي بنيت إلى جانب حلب القديمة، ومكانها (أسواق المدينة) القائمة حتى الآن، بمخططها الشطرنجي الواضح من باب إنطاكية حتى سفح قلعة حلب والأسواق الموازية لها والمتعامدة عليها، والتي بني الجامع الأموي الكبير ربما، في ساحتها العامة (الآغوار - الفوروم). إن نقل اليهود إلى هذه المعمرة كان بقصد التجارة، لأنها أنشئت للتجارة والإدارة في ظل الحكم السلوقي لسورية منذ 333 ق.م حتى الغزو الروماني 64 قبل الميلاد.

لا شك أن بعض سكان مدينة حلب القدماء قد اعتنقوا اليهودية في الألف الأول قبل الميلاد، كما اعتنقوا المسيحية والإسلام فيما بعد. في القرن الحادي عشر الميلادي وما بعده، ومع ظهور حركة التجارة الدولية والمعاهدات التي أبرمت، ولا بد أن جاليات يهودية وغير يهودية استوطنت حلب من أجل مصالحها التجارية. ثم في الفترة الأيوبية، وفي حلب، جرى

عقد المعاهدات مع المدن الإيطالية الناشئة ذات الأساطيل التي لعبت دوراً كبيراً في حوض البحر الأبيض المتوسط: البندقية، جنوة، بيزا، ليفورنيا، توسكانا، ...) وجرى أيضاً مجيء جاليات تجارية إلى حلب، وإن بعضها كان يعتنق اليهودية، عملوا في التجارة وفي السلك القنصلي، وجمعوا حولهم إما مواطنيهم، أو المواطنين الحلبيين من اليهود أيضاً فضلاً عن بعض المسيحيين والأرمن...

أما الهجرات الكبيرة والمتتالية فكانت من قبل يهود إسبانيا هرباً من محاكم التفتيش في عام 1492 وما بعده حتى القرن السابع عشر. وقد لحق بهم يهود من المغرب العربي، وجاءت معاهدة الامتيازات 1535 التي أبرمها السلطان سليمان القانوني مع فرنسوا الأول ملك فرنسا لتعطي اليهود وجنسيات بعضهم أجنبية امتيازات كثيرة، لا مجال هنا لعرضها، لكنها كانت تساعد اليهود، وتزيد من أعدادهم، فضلاً عن السكان المحليين الذين تمتعوا بامتياز معاهدة الامتيازات.

هكذا كان عدد يهود حلب يتراوح بين خمسة آلاف وستة آلاف يهودي وفق روايات الرحالة وتقديراتهم، والعدد الأقرب إلى الصحة ما أورده الغزي في الجزء الثاني من كتابه، لأنه قام ببحث ميداني وذكر أعداد اليهود الذكور والإناث في كل حي سكنوا فيه، ولم يتطرق إلى أعدادهم التي كانت في الخانات إلى جانب الجاليات الأجنبية، وهي أعداد قليلة جداً.

لكن المستغرب في الأمر أن يورد الصحفي الفرنسي بول بوران الرقم خمسة عشر ألفاً من اليهود في حلب[1]، ثم يأتي الصحفي السوري ظافر فكتور

[1] نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل الغزي، الطبعة الثانية 1991، ص 162

كالوس ويقدرهم بثلاثين ألفاً[1]. وطالما غابت الإحصاءات الرسمية للسكان، أو تمت ولكن لم تكن دقيقة لأمور كثيرة، لهذا لا يمكننا الجزم بالعدد الصحيح لليهود في حلب المواطنين والوافدين، وأصحاب الجنسيات الأجنبية، ولكنهم مستمرون في حلب.

منذ أن قامت الحرب العالمية الثانية في عام 1939، ولعب اليهود دوراً ما زالت أسراره تكتشف شيئاً فشيئاً، فضلاً عن المؤتمرات اليهودية العالمية في مدينة بال السويسرية، وما عرف عن اضطهاد اليهود ليس في ألمانية النازية فحسب، بل في دول أخرى بشكل أقل. وهكذا بدأت بوادر الهجرة من سورية، ومن حلب، وكانت وتيرتها تزداد شيئاً فشيئاً، حتى إن اليهود من أصل إيطالي كعائلة بيجوتو عادوا إلى مواطنهم في ايطالية.

بدأ اليهود بتصفية أموالهم منذ العام 1942 والهجرة إلى لبنان والعمل هناك، وفي عام 1947، وبعد أن صوتت هيئة الأمم المتحدة على قيام دولة إسرائيل وانسحاب بريطانيا من فلسطين وتسليم أمورها إلى هيئة الأمم المتحدة[2] بدأ اليهود في حلب هجرتهم منها بشكل فعلي. وبعضهم سافر بموجب وثائق سفر رسمية من الدولة السورية، بعد أن أوكلوا أموالهم وأعمالهم إلى اليهود الذين فضلوا البقاء في سورية[3]. بقي صغار الكسبة الذين سافروا إلى إسرائيل عبر تركية، ومنها إلى إسرائيل عبر قبرص[4].

---

[1] كالوس . ص 9.

[2] المصدر السابق . ص 22.

[3] المصدر السابق . ص 22.

[4] المصدر السابق . ص 22.

كانت هناك شبكة منظمة تقوم بنقلهم ليلاً إلى الحدود السورية - التركية ثم إلى تركيا، ومنها إلى إسرائيل عبر قبرص[1].

أكثر أغنياء اليهود قصدوا الأمريكيتين أو اليابان، والذين أقاموا في لبنان اتجهوا إلى أوروبا[2].

جُمِّدت أملاك المستأجرين اليهود بموجب مرسوم صدر في نيسان 1966، وأُجِّرت إلى مسلمين، وأصبحت تديرها لجنة من وزارة الداخلية بالتعاون مع المقاومة الفلسطينية[3]، وقد تناولت هذه الأملاك ما كان لدى اليهود من عقارات في مركز أسواق المدينة في الخانات المعروفة: فلكروز، الحرير، القصابية، الحبال، الجمرك، الصابون، الوزير، الفرايين، النحاسين، وغير ذلك في بعض المخازن.

جرى الأمر نفسه في الأحياء الحديثة من مدينة حلب خارج الأسوار، وأهمها العزيزية والإسماعيلية والجميلية، أما مساكنهم في أحياء حلب القديمة، فقد صُفِّيت، وما بقي منها أزيل حينما أزيلت مساكن بحسيتا والبندرة في مشروع باب الفرج الذي هدم في عام 1980، وظهرت بنايات مكانه: منها غرفة الصناعة وما جاورها وفندق شيراتون ومديرية الثقافة...

لا بد في هذا البحث من موجز صغير عن ارتباط الحركة الصهيونية الاستعمارية وهجرة يهود حلب، إذ لم يطرح مفكرو الحركة الصهيونية في

---

[1] المصدر السابق، ص 22.

[2] المصدر السابق، ص 23.

[3] د. حوراني، ص 55.

نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين أية أراء بشأن معارضة الدول العربية المتوقعة للمشروع الصهيوني. ومن جهة أخرى لم ينتبه المفكرون العرب إلى تطلعات الحركة الصهيونية ، فيما عدا الكاتب اللبناني نجيب عزوري الذي أصدر في باريس في عام 1905 كتابه "نهضة الأمة العربية" الذي حذر فيه من خطورة الصهيونية. وقد ورد في الكتاب: ((في الوقت الذي تشهد فيه المنطقة حركة نهضة عربية يسعى اليهود لإقامة مملكة إسرائيل ، وقد كتب على هذين الطرفين أن يخوض كل منهما صراعاً مريراً ضد الآخر دون توقف، إلى أن ينتصر أحدهما على الآخر، وستحسم النتيجة النهائية لهذا الصراع مصير العالم بأسره[1])).

إذاً لم يكن للحركة الصهيونية منذ نشأتها في نهايات القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى 1918 أية علاقة بالطوائف اليهودية في بلدان الشرق، على الرغم من أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهد حركة هجرة قوية من معظم بلدان الشرق إلى فلسطين[2].

إن عدم معرفة يهود الشرق بأنشطة الحركة الصهيونية والمؤسسات الصهيونية علاوة على سيطرة الاتجاهات الدينية المحافظة عليهم، وتدهور أوضاع يهود الشرق القانونية والمدنية ، قد حالت دون إقامة أية علاقة بالحركة الصهيونية ؛ كما لم تبد الحركة الصهيونية منذ نشأتها أي اهتمام يذكر بيهود الشرق[3].

---

[1] اليهود في البلدان الإسلامية ص 60

[2] اليهود في البلدان الإسلامية ص 116

[3] المصدر السابق ص 174

مهما يكن، لم تكن إسرائيل تشكل نهاية المطاف لهجرة اليهود، فقد بدأت الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإلى أوروبة الغربية وخاصة إلى انكلترا. لوجود علاقة اقتصادية قوية مع الغرب، علاوة على أن المستنيرين فيهم كانوا يجيدون اللغات الأوروبية وعلى معرفة بمضمون الثقافة الغربية. ومن جهة أخرى فمن المحتمل أيضاً أنهم فضلوا الهجرة إلى الغرب بسبب تخوفهم من أن يواجهوا أي مشكلات اقتصادية في إسرائيل، علاوة على تخوفهم من المشكلات الطائفية والاجتماعية.

أن عقد الأربعينات من القرن العشرين شهد بداية الهجرة اليهودية غير الشرعية من سورية إلى فلسطين عَبر لبنان حيث قدر عدد اليهود فيها عام 1958 بتسعة آلاف يهودي، ولكن تعداد اليهود تضاءل بها بشكل ملحوظ بعد حرب حزيران 1967 ولم يعد في لبنان سوى عدد ضئيل للغاية من اليهود[1].

[1] المصدر السابق ص 174.

فصل من تاريخ يهود حلب عن
استعاراتهم وأمثالهم وتشبيهاتهم
ونهكماتهم ومآكلهم ومزاحهم[1]...

استعاراتهم

يتشاءم اليهود من التلفظ بكلمة فحم فيقولون: اشترينا فردة (كيس خيش كبير) على وجه إبليس.

(يقولون) ابن الست وابن الجارية وأصله من اليهود ابن سارة وابن هاجر.

يتحاشى اليهود التلفظ باسم ((الله)) فيحرفونه لدى الاضطرار إلى ((أما)) احتراماً.

شهامة التاجر سياهو شماع، إذ أودع عنده أحدهم أمانة تافهة، ثم طالبه بها مدعياً أن مبلغ أمانته كبير ومستنده اليمين، فامتنع سياهو عن حلف اليمين ودفع المبلغ المدعى كاملاً وهذا غاية في الحفاظ على اسم الله واحتراماً[2].

بنكنوت: عبرية بمعنى الأجنحة الأربعة، أطلقوها على صدرية يلبسونها تحت الثياب، عُقدت في زواياها الأربع بواسطة عُقد بخيط صوفي خاص،

---

[1] كُتب هذا الفصل، لولا الفقه، بعد أن تمت مراجعة المجلدات السبع لـ: موسوعة حلب المقارنة تأليف الأستاذ محمد خير اللبن، وأعدها للطباعة ووضع فهارسها الأستاذ محمد كمال وأصدرتها جامعة حلب - الطبعة الأولى عام 1998

[2] نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل الغزي، الطبعة الثانية 1991، ص 152

وترمز هذه العقد بحساب الجمل إلى كلمة "يهوه"، وهذه الصدرية شعار اليهودية.

البندرة وهي قسمان: أولاً بندرة الإسلام. ثانياً بندرة اليهود: من بندر الفارسية التي تعني السوق، وألحقوا التاء في البندرتين أي الحي إلماحا إلى الحارة[1] ... من يهود وأجانب يجلبون البضائع من البندقية وغيرها، ومن إسلام يشترونها منهم ويوزعونها على البرّ (يقصد الأسدي الريف) وغيره.

التغليم من العبرية: يستعملها اليهود بمعنى العلبة الصغيرة فيها اسم "يهوه"، تُعَلَّق لدى الصلاة في أعلى الجبين على الوجه وعلى الكتف الأيسر.

بيع اليهود مثل علك الجلود.

يقول اليهود: وديني ما معي البيروطا (تحريف البارة التركية يستعملها اليهود).

يسمون "خانة البيش" في لعبة المحبوسة من الطاولة: "اليهود سلم تبعو وماسلما".

حدثني الحاخام مزراحي قال ((أوصت عجوز أن يُدفن في قبرها علبة فيها بيلون بورد[2]، وجعلت لوصيتها حاخاماً كبيراً هو أنا، وأعطته سلفاً مجيدياً إجرة تنفيذ وصيتها، لكنها لم تمت في القريب، وصادف أن زارها بعض أقربائها ومعهم (أولادهم) صغارهم، وفي لعب هؤلاء الصغار نبشوا هذه

---

[1] الكلام مقطوع في الأصل (محمد كمال الذي أشرف على طباعة الموسوعة).

[2] توبة خاصة صغيرة اللون ناعمة تعجن مع روائح عطرية نفّاذة وتجعل على شكل كعكة، تستعملها النساء الحلبيات، أخذ من حلة من حمامهن بعد تذويبها واستعمال مائها.

العلبة وأخذوا بعض الأكواز ونقعوها في الماء وإذا تحتها خواتم عدّة ذهبية، أوصت أن تدفن معها.

اليهودي الذي تبرع لوزارة الحربية العثمانية... فرض "كل ترين ألو فيه فاركونة واحدة للشحن يستعملها كما يريد، تلري ياخاي ماحدا ببخّر لألله ببلاش.

"تْبوُّمْ" من تعابير اليهود: بنوا على تفعل للمطاوعة، من بَوُّم التي بنوها أيضاً من البوم.

يقول اليهود: "عم يحنّف لو" يريدون يمدحه يطريه يتزلف إليه. من العبرية بهذا المعنى.

اليهودي إذا مدحته أساء الظن بك.

الحنْكّة: عيد الحنكّة عيد يهودي والكلمة عبرية.

كان اليهود يؤرخون بحساب الجمل وكذلك العرب والسريان أي لكل حرف رقم[1]...

يهود حلب يسمون زب الصبي: "جيجة" لأنه رابض على بيض. والإسلام يسمونه حمامة. ودار ذات يوم بيني (أي الأسدي) وبين الحاخام مزراحي بحلب الحديث التالي:

- الإسلام كانوا فنيّن أكثر ماليهود.
- ليش؟
- لأنو، سموا زب الصبي حمامة وأنتو سميتوْ جيجة.

[1] للتفصيل، راجع موسوعة الأسدي المجلد الثالث ص 84 العمود الأول

- وين الفن:
- وين الفن؟ الحمامة أزغر مالجيجة وزب الولد زغير وتحتو بيضتين زغار بيقربو لبيض الحمامة أكتر مابيقربو لبيض الجيج، وبمقابلا سمو عضو البنت الزغيرة: العش، والعش للحمامة مو للجيجة، وبعدا وين صوت الحمامة من صوت الجيجة؟ وما في نسبة بين ملانكية الحمامة ومنظر الشعري، والجيجة.
- لاعيني لا، إش عم بتحكي بالشعر والخيال، إذا عطيتك حمامة بتعطيني بدالا جيجة!..

يقول اليهود عشانا جيجة طارت أي: لاعشاء بل بيضة واحدة تفقأ في ماء يغلي مع الملح، ولدى الأكل تمسها الأيدي مع الخبزة، ومتى خافوا فسادها تقاسموها.

الحابورة: من السريانية حبروتا، وفي الكلدانية حبروتا: مقعد اليهود في مجامعهم، جماعة اليهود، كنيس اليهود.

يزعمون أن اليهودي قبل مايسلم عالمسلم بقول في قلبو سرًا: إن شاء الله وبعدا بعليٌ صوتو: "سلا - مات"

شبوت شالوم: من مفردات اليهود الخاصة، من العبرية بمعنى: سلام السبت.

يقول لاعب الطاولة اليهودي خاصة: هادا بطوفس الزهر لاتلعب معو. يريدون: يمسك النرد ويتحكم في رميه. من العبرية تفس: أمسك.

يطلق اليهودي على النصراني بالعبرية "العرل" بالعين المهملة. بمعنى غرلة الصبي. وسموا النصراني بالعرلة لأنه لايختتن.

عزراهين: تحريف عزرائيل العربية عن العبرية بمعنى مساء الملك وهو ملك الموت، وفي قصة موسى أنه أعور ضربه موسى، لما قبض روحه، على عينه فأتلفها.

قصاب البيع: أطلقوها على من يشتري الثياب العتيقة ونحوها. وأعياني أمر أصلها (هكذا يذكر الأسدي[1]) إلى أن سألت الحاخام مزراحي، وأفادني: أن أصله كان قصاب البيع سمي ما ينادي به، وأصل لفظه: قصب للبيع، يريد بالقصب: الخيوط المعدنية التزينية منها الذهبية والفضية، فأنا كنت أنادي على أهم بضاعة اشتريتها، وإن كنت اشتري معها كل عتيق ثم أحرق الثياب لأحصل على ذائب الفضة والذهب، فقد أشتري الكبود العتيق الكابي لونه المتثني الذي سافت رقبته وتقطع جبره[2]، أشتريه بثلاثة براغيد[3] فأصبغه وأرتو[4] ياقته وأكويه وأركب له جبرا جديداً وأبيعه بأربع مجيديات...

وإذا قست أرباح قصاب البيع اليهودي إلى أرباح بياع النخالة يابيلون أو إلى من ينادي: سكر الماكينة بالنحاس الأصفر ياناس، وجدنا فارقاً كبيراً جداً فقصاب البيع كان يربح أكثر من دكان سمان أو عطار. واليوم حل محله المسلم ينادي: اللي عندو شي عتيق للبيع.

---

[1] موسوعة الأسدي المجلد السادس ص 205.

[2] الجبر: الإطار المتماثل الذي يضاف إلى الثوب

[3] براغود: نقد معدني قليل القيمة، في الفترة العثمانية وهو أصغر نقد بالنسبة للمجيدي وكان الذهب عدة مجيديات

[4] أرتو يقصد أرفو

يبدو أن شراء العتائق والمستعملات كان خاصاً باليهود... وفي معظم مدن البحر الأبيض المتوسط شهدنا اليهود يزاولونها، وهذه البالات التي ترسل إلى حلب من أمريكا كلها من تجارة اليهود.

من توريات الحلبيين: يزعمون أن سلام اليهودي على المسلم: سلا ومات.

الماعوط من مفردات اليهود، عبرية بمعنى النقود، ويزعم الإسلام: مستحيل تمضي عشر دقائق عاليهودي ومايذكر فيا ماعوط.

نكُع من العبرية نكع: مات يستعملها اليهود.

نكُع من العبرية نكع: ردُل حقُر، بناها اليهود على فعُل، وسرت منهم إلى غيرهم.

مزاحهم

سأل مسلم يهودياً: دلّني على دوا يكبر الشوارب

- مالك غير دهن الأحور (الإست والمؤخرة لدى اليهود فقط).
- وين بينباع؟
- مابيعوه إلا عطارين بحسيتا (أغلبهم من اليهود) وراح المسكين وكل عطار يزتّو لعند غيرو، والضحكة بتكون في القلب (الأسدي)

المسوحقة من مفردات اليهود خاصة بمعنى الضحك والهزء والسخرية، من سوحقة العبرية.

يقولون: منّن الحاخام الجيجة: يريدون فحصها ليرى هل يصح أن يأكلها يهودي. بمعنى عدُّد وأحصى أي: عدُّ أضلاعها وفحص كل ضلع لئلا يكون فيه كسر أو أثر كسر، لأن الشرع اليهودي يحرّم أكلها.

مأكلهم

"الإسبانية" حلوى تُتَخذ من السميد والبيض والسكر والزعفران، والأسدي اتصل باليهود الذين يعملونها وراثة عن أجدادهم الذين نزحوا مع العرب من إسبانيا (كانت تباع مع الجوالين في المقاهي باسم إسبانية، وأعتقد أنها البداية في عمل الحلويات المعروفة بالكاتو).

البرغل ببانجان يلقبه الإسلام: يهودي مسافر واليهود يلقبونه مسلم هارب.

بعصوًا وانهزمت اسم طعام يأكله فقراء اليهود: ماء مغلي يفقأ فيه بيضة، فتجمد داخل الماء وتطفو، يلتف حولها أفراد الأسرة، يغمسون لقمة الخبز في مرقتها، ثم يمسّون البيضة الطافية مساً رقيقاً فتندّ، وتظل هكذا إلى أن يُخشى فسادها فتكون حينئذ وجبة غنية.

من عاداتهم أن يكون عشاء الخوجة، المطربة في الأعراس، البيض، ذهاباً منهم إلى أنه يحلو الصوت ويطربّه، والحقيقة هي أن أكثر الخوجات يهوديات لا يأكلون طعام غيرهم، وعادة لا يأكل اليهود من طبيخ غير اليهود.

الدخيا: اليهود لا يأكلون إلا الدخيا من اللحم، والدخيا كلمة ترجومية أي: آرامية دخلت العبرية ومعناها: الطهر والنقي والزكي. يقول الأسدي[1]: والآن عرفت سبب أن ذبحيات المسلخ يشرف عليها اليهود.

---

[1] موسوعة الأسدي المجلد الرابع، ص 34 عمود 1.

في بيروت تسمى الشاكرية لدى اليهود (طبق طعام حلبي معروف باللبن واللحم) أو "لبن أمو" إلماحاً إلى شريعة اليهود" ((لا تأكل الجدي بلبن أمه)) وهي من الوصايا العشر.

الشيخ ولَفْتو: أطلقه اليهود على طيخ لهم يطبخ بالفرن ليلاً: بيوت من القرع الشتوي يُقَشَّر وتُفتح فيه ثغرة يستخرج منها لبابه من بزر وما إليه، ثم يُحشى بالرز واللحم وتُسَدُّ الثغرة، ثم يُلَفُّ حول القرعة جق[1] محشو بحشو القرعة نفسها، ويغطى القدر ويُسد سداً محكماً، ويرسل إلى الفرن بَيُّوتاً، أي ليلاً، سموه بالشيخ ولفتو على تخيل أن القرعة شيخ لأنها تشبه دنباكية[2]، وأن الجق لفته.

يقول اليهود خاصة: لحم طرف، يريدون اللحم المحرم أكله عندهم، يقابله اللحم الدخيا: أي الذكي وكلاهما عبري.

كالسونس من مفردات اليهود الخاصة، حملوها معهم من إسبانية ومعناها بالإسبانية: السنبوسك المحشو بالبيض والجبن.

لحم كشير من العبرية، بمعنى الطاهر، مايُحَلُّ أكله في شريعتهم.

متاهمبري: طعام لفقراء اليهود: ماء يغلي ثم يفقأ فيه البيض، ويُذر عليه الزيت والبقدونس وهذه الكلمة إسبانية الأصل ومعناه: قاتل الجوع.

مسلم محروق: لقب الباذنجان المقلي عند اليهود خاصة.

---

[1] أحد أسماء الحيوانات على شكل اسطوانة (المؤلف)

[2] الدنباكية تسمية تطلق سابقاً على غطاء رأس المشايخ القدماء

مسلم هارب: لقب البرغل بباذنجان عند اليهود خاصة، تحدياً للإسلام الذين يلقبونه بيهودي مسافر يريدون: الباذنجان الأسود الوجه كاليهودي سافر وانتقل إلى البرغل الذي ليس من عنصره، وتلقيب اليهودي إياه بالهارب أنكى من المسافر.

ناهي: أطلقوها على الخبز الإسباني الذي يسمونه "إسبانيا" الذي أدخله اليهود إلى حلب بعد هجرتهم من إسبانيا، ثم أطلقت الكلمة على كل ما يشبه من الحلوى اللينة السهلة المضغ[1].

تشبيهاتهم

يطلق على المعبد الكبير الرئيسي لهم، في حي بحسيتا اسم الكنيسة الصفراء، لأن حجارتها الداخلية من الرخام البعاذيني (مقلع بعاذين بالقرب من مصلحة المياه بحلب حالياً) الأصفر البهيج.

بحسيتا: للأسدي؛ في موسوعته[2] مذهب في أصل الكلمة: "باح صيتا" أي ظهر صيتها وذاع، لما كانت عليه من مقام علمي رفيع لدى سكانها الإسلام واليهود، وقال الحاخام اسحق شحيبر: "اشتهرت حلب منذ القديم بمحافلها الدينية وبعلو درجات علمائها وأحبارها، حتى كانت قبلة الأرض، وكان لعلمائها احترام خاص لدى كل المشتغلين بالأمور الدينية". والمذهب الثاني للأسدي: أنها من "بح صوتا" أي: أصاب صوتها البُحة

---

[1] ما زلت أذكر البائعين ينادون باسم ناهي على هذا النوع من الأطعمة. وهي تشبه عجين الحلويات الحديثة - الكاتب

[2] موسوعة الأسدي المجلد الثاني، ص59-64 والغزي الجزء الثاني، ص 207.

لكثرة جلبة الباعة في سوق الخميس فيها، أو بحّ صوتها في المطالبة حقوقها على قدم المساواة، يؤذن به المثل الحلبي الساخر "وج مثل سقاقات (لزقة) بحسيتا، أي: وجه شئيم مثل شوارع بحسيتا..."

وفي مكان آخر من الموسوعة[1]: أطلق اليهود هذا الاسم الاسبانيولي على هذا الحي إثر نزولهم فيه بعد هجرتهم من إسبانيا أي بعد سنة 1492. ويؤنس بهذا المذهب أنه لا يزال لدى يهود حلب حتى يومنا هذا (توفي الأسدي في الثاني والعشرين من كانون الثاني عام 1971) آثار من الكلمات الإسبانية انفردوا باستعمالها وحدهم دون غيرهم.

وفي اللسان: باحة الدار: ساحتها، والباحة عرصة الدار؛ وفي الحديث: ((نظفوا أفنيتكم، ولا تدعوها كباحة اليهود[2])).

الجيتة أطلقها اليهود على الليرة السورية من الورق لأنها مطبوعة بألوان قماش الجيت أو الشيت.

مثل فقرا اليهود: لا دين ولا دنيا.

الديّان يطلقها اليهود على الحاخام الذي يقضي ويحكم، والكلمة من العبرية، وبيت الديّان من اليهود في حلب.

أرقّ من دين ابن عزرا

يزعمون أن اليهودي يفيق[3] مبكراً وبيشوف الليرات وبينزل على السوق ويقول لغير اليهودي: الله لايشوفك اللي شفتو، يوهمه أنه كان مريضاً.

---

[1] المصدر السابق ص 62.

[2] المصدر السابق ص 63

[3] يستيقظ

إذا تكلم غير اليهودي كلاماً مع يهودي باطلاً، قال اليهودي منبهاً رفيقه: إجا عزورة شيقر " أي أنه كذب". وغش بالعبرية شقر.

كان اليهود يقولون لدى تعذيب الجهلة إياهم: أموت فْداك.

الكبيسال: من مفردات اليهود الخاصة استمدوها من الإسبانية قبل هجرتهم من إسبانيا مع العرب ومعناها: المخدّة.

تهكماتهم

أبو إسحاقا من شخصيات الخليلاتي (كراكوز وعيواظ خيال الظل) يهودي مهنته تنظيف الطواريق (مفردها طاروق أي مجرى الصرف الصحي) والجور الفنية، ويظهر بمظهر المعتز بعمله الشغوف به، ومن تهكماتهم جاء المثل التهكمي: "مابعزل هالجورة إلا أبو إسحاقا".

كان الشحاذ اليهودي إذا قيل له: أجُلا (أي أجلها)، يغني بينه وبين نفسه، مؤجلة، وفوق رفقاتا مدركلة، أو؛ مأجلة بس يبلاك بدركله.

يَسَّاف اليهودي الشحاذ داس على اجر واحد شب شيك صابغ قندرتو. قال الشب بنزاقة: كنِّيك أعمى ؟

- أي نعم ودوَّاس كلاب.

لدى تجهيز الميت اليهودي يفتحون أجفانه ويذرون التراب على عينيه، ومن هنا جاء المثل (العين ما بتشبع إلا بالتراب).

"بلزار فحمة" للبيع والشراء مع الذين لا يرضون عنهما.

يقول اليهود: هادا زلمة بوم وبومة وشغلو بومة وبضاعتو بومة وأصحابو كلن بوم، يريدون السوء والقبح.

كول ببيت اليهودي ونام ببيت النصراني.

"ليش ما أبكّر لسان حلو واكل طيب" أصلاً أن أجْبَرَ أحدُهم يهودياً أن يأكل طبيخه، وبعد أن أكل قال له ليكيده بكرا بكرٌ فأجاب: ليش ما أبكّرِ لسان حلو واكل أطيب.

مرض مؤذن (في موسوعة الأسدي مأدن) في حمص، وماشافوا صوّيت (أي صوته جيد وعالٍ) غير واحد يهودي كان يقول أشهد أن لاإله إلا الله وتشهد حمص أن محمداً رسول الله.

القهوة بلا دخان مثل اليهود بلا حاخام.

"دخي" أي ماكر ملعون مالو قرار. وأصل دخي من العبرية عن الآرامية: لقب طائفة من اليهود بمعنى الطهر والنقاء يريدون أنهم مخلصون ليهوديتهم.

وسألت (الأسدي صاحب السؤال) الحاخام مزراحي: وإش يتساوي إذا شفت دهبة (أي ليرة ذهبية) في الدرب يوم السبت؟

أجاب بخبيا بشي قرنة لتاني يوم.

يسّان شحاذ يهودي ذو كرش، لفاوي المزاج، ساخر يطوف دور اليهود مرنّما: عالبوآيا، يريد عالبقايا من طعامهم، ويرد عليه معظمهم: أجّلا، فيرنم أجّلناها، ويمشي بكرشه إلى دار أخرى. شاهدته (يقول الأسدي) في سوق الخميس يطأ رجل مسلم والمسلم يقول: أشبك ضاربك العمى؟ - مو بس أعمى، أعمى ودوّاس كلاب[1]. ويستوقفه المارة فيسردون عليه

[1] موسوعة الأسدي - المجلد السابع. ص 448

حروف الهجاء، ويقابل هو كل حرف بمسبَّة مثلاً أليف فيجاوب راسك بالمعليف (حيث يوضع علف الحيوان). لا يبدأ بها حتى يقبض إلا بُطْنَشْ (أي نقداً باثني عشر...)

يهودية تعسَّر معا الطلق، إجا واحد وقال أنا بَيَسِّروا، مسك ليرة وقدما لرحما، مدّ راسو ورجع، طلّعوا بالليرة شافوّا مغشوشة.

اعتقاداتهم

كان لليهود في حلب موظفون يتولون نصب شريط معدني بين ثغرات سور حلب التي أحدثها اختراق السور وهدم كثير من أجزائه، يعملون ذلك لأنه حرام عندهم أن يسكنوا بلداً غير مسوَّر. وهذا الشريط المعدني رمز تكملة المهدم من السور حتى يكون داير البلد سور.

يقول الأسدي[1]: وكنت شاهدت الملك فيصل بن الحسين لدى أول زيارته إلى حلب، شاهدته في دار الحكومة في الفرافرة[2] وشاهدت الحاخام باشي يهديه صينية الضيوف (أوروبية الصنع لها إطار تدعى: الحجرية) متخذة من الفضة، وعليها كاسات فضية على أنه أي الحاخام اشترى من الملك مدينة حلب، وهذه الصينية ثمنها، قال هذا وأفهم من حوله، أن تقاليد اليهود تقضي هذا العمل لتجوز صلاتهم؛ فابتسم الملك وقبل.

---

[1] موسوعة الأسدي. المجلد الخامس. ص 157.

[2] المبنى الذي بني نصفه قائماً إلى الشمال من بلدية حلب الأولى ثم قسم الهدم والجولزات فيما بعد وأخلي لاحقاً. وينتظر استثماره سياحياً. هذا المبنى يعرف بسكان حلب بـ "السراي العتيقة" بعد أن بنيت دار الحكومة الحالية أمام باب القلعة الرئيسي أي دار المحافظة.

الختان فرض ديني عند اليهود، وحاخامو حلب يقومون بأنفسهم بهذه المهمة.

إذا عوّى كلب الحارة بالمقلوب، يكون عزراهين إجا يزور هالحارة[1]. (ليقبض أرواح الناس).

العصافير يهود والحمامة مسلمة.

العنصرة عيد نزول الشريعة في طور سيناء عند اليهود. تحريف عصره العبرية: العيد الاحتفال.

عيد الفطير من أعياد اليهود يكون في خامس عشر نيسان، وليس المراد نيسان الروحي بل شهر من شهورهم يقع في آذار الروحي وحسابه صعب، فإن السنين عندهم شمسية والشهور قمرية. مدته ثمانية أيام يأكلون فيه رقاقات لم يختمر عجينها: ذكرى خروج بني إسرائيل من مصر.

عند اليهود مكان من الهيكل، كان يدخله عظيم الأحبار مرة في السنة، وفيه الوصايا العشر، وقبل بناء الهيكل كان قدس الأقداس تابوت العهد.

المحروم عند اليهود من حرمته الكنيسة من شركة اليهود.

هامان عدو اليهود، وزيرا حشويرش الفارسي، ذكر في سفر أستير من كتاب العهد القديم. (المثل الحلبي: (على هامان يافرعون).

يوبيل: من العبرية: يبيل: صاح صيحة الفزع، نفخ في البوق، عزف على العود ونحوه، وكان اليهود يقيمون عيداً كل خمسين سنة، احتفالاً بخلاصهم، وسموا هذا العيد "يبيل". وانتقل هذا اللفظ إلى اليونانية واللاتينية

[1] أذكر مثل هذا الاعتقاد لدى عامة الحلبيين.

مع بعض التحريف: يوبيل أو يوبيليا، والباباوات جعلوه عيداً كل مائة سنة، وكل خمسين سنة أو كل ثلاث وثلاثين سنة أو كل خمس وعشرين سنة. كما انتقل هذا العيد إلى الملوك يقيمونه بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة من أعمارهم أو خمسين: اليوبيل الفضي أو الذهبي أو الماسي[1]...

أمثالهم

كل جيئة بمهمة، أي كل تكبر بهيم.

قال لو: بومة. قال لو على قد تمنها (ثمنها) (أي الشرية بومة)، أي غير مربحة أو سيئة...

حلفون: والأصل: "هالشغلة بدّا مدبّره حلفون، وحلفون يهودي يضرب المثل بذكائه وحسن تصرفه، وكان يستمد من امرأته مشورته فكانت ترشده إلى أجدى التصرفات.

شرط المرافقة الموافقة. لا ترافق الأجرودي[2]، ولا تشاور اليهودي.

من أمثال النصارى: في عيد الفطير إلما[3] عندو جبة يستعير، في عيد الفطير شلاح[4] وطير؟!

وأيضاً لدى اليهود: في عيد الفطير إلما عندو جبة يستعير، لأنه يقع في نيسان العبري، وقد يكون فيه برد

---

[1] موسوعة الأسلمي المجلد السابع. ص 453

[2] الأجرودي: قليل شعر الرأس والوجه

[3] الذي يقصده الأسلمي: الذي ليس عنده

[4] شلاح الذي يقصده الأسلمي أي يمكنك أن تنزع ثيابك وتدفئ

خاتمة

وبعد

وجد اليهود في العالم القديم، منذ أن انتشرت العقيدة اليهودية، وقبل اكتشاف العالم الجديد. عاش اليهود في كل بقاع العالم، طائفة إلى جانب الطوائف الأخرى، كلٌّ له دينه ومعتقده، متميزاً بهما عن الطوائف الأخرى، ولكن ذلك لم يمنع العيش المشترك بكل أشكاله ومظاهره.

كتب الكثيرون عن اليهود كطائفة متميزة لها أيضاً عاداتها وتقاليدها الخاصة بها، توضحت من معتقداتها، وإشراف رؤسائها على تطبيق تعاليم الديانة اليهودية، وأحياناً بصرامة.

في العصور الحديثة، التي تميزت بأمور كثيرة، بدءاً من اختراع الطباعة وانتهاء بالانترنت، حتى اليوم، ثم ظهور الأنظمة الاجتماعية والسياسية المختلفة، بدأ الاختلاف يبرز ليس بين الطوائف بعضها مع بعض، بل في الطائفة نفسها، بين التقليدي والحديث، وبين القديم والمعاصر.

يهود حلب لم يكونوا بعيدين عن الاختلاف ذاك، لكنه كان ضعيفاً؛ إلى أن جاء يهود المدن الإيطالية ثم يهود إسبانية.

قمة الاختلاف جاءت مع الحركة الصهيونية التي قلبت المفاهيم القديمة رأساً على عقب.

هذا البحث الذي تناول توثيق بعض أخبار اليهود المتناثرة في الكتب وفي الذاكرة يبرز أموراً محددة:

أولاً: إيراد هذه الأخبار ضمن إطار مدينة حلب العريقة التي ضمت هذه الطائفة، وعاشت في كنفها كغيرها.

ثانياً: كتاب لا يدرس اليهود كطائفة فحسب، بل كفئة من فئات المجتمع الحلبي القديم الذي يعرف بأصالته في كل شيء.

ثالثاً: رغم أن اليهود طائفة، ولكنها ذابت في المجتمع الحلبي وأصبحت جزءاً منه، ولكنها تمسكت بخصائصها الخاصة بها في محتمعها الخاص بها أيضاً.

رابعاً: وإن تميز يهود حلب ببعض الأعمال التي برعوا بها كالصرافة والنواحي المالية والتجارة الخارجية، ولكنهم في غير ذلك هم من سكان هذه المدينة العريقة.

دفعتهم الصهيونية العالمية، رغم إرادتهم، لأن يهجروا هذه المدينة التي عاشوا فيها مع جيرانهم في الحي والسوق وزملائهم في شتى ميادين العمل، لكن الجيل القديم لا يزال يذكر الشيء الكثير، وكتابنا هذا يقصد هذه الذكريات، ويدفع المواطن لأن يكون مواطناً قبل كل شيء وحب الوطن من الإيمان، والإيمان به.

كلمة أخيرة

بعد تأسيس دولة إسرائيل، ومع تزايد قوة الاتجاهات القومية في البلدان العربية، تم إسدال الستار على المراكز اليهودية في البلدان الإسلامية. وبغض النظر عن مدى حفاظ يهود الشرق سواء في إسرائيل أم في الدول الأخرى التي استقروا بها مثل فرنسا وإسبانيا وأمريكا الشمالية والجنوبية على تراثهم الثقافي، إلا أنه من الواضح أنهم أصبحوا أكثر تقبلاً وبشكل سريع، لقيم الثقافة الغربية. ونتيجة لأن بقاء اليهود كوحدة قومية (!)[1] ذات وعي مشترك يرتبط بالحفاظ على تراث الماضي، فلا شك أن تراث يهود البلدان الإسلامية ساهم في إغناء التاريخ الثقافي لليهود سيظل مركباً حيوياً في التاريخ العام لنتاجنا القومي الشامل[2].

---

[1] لا يعرف عن اليهود أنها قومية

[2] نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل الغزي، الطبعة الثانية 1991، ص 152

المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع (مرتبة بحسب تسلسلها في الهوامش)

- تاريخ اليهود في بلاد الشام في حلب - دمشق - بغداد، تأليف ظافر فكتور كالوس (بدون تاريخ أو دار نشر..)

- اليهود في البلدان الإسلامية (1850 - 1950)، تحرير صموئيل أتينجر، ترجمة د. جمال الرفاعي، مراجعة د. رشاد عبد الله الشامي، عالم المعرفة رقم 197، أيار 1995.

- نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل الغزي، الطبعة الثانية، دار القلم 1991، ثلاثة أجزاء.

- المسيحية في سورية تاريخ وإشعاع، تأليف الأرشمندريت أغناطيوس ديك، مطبعة الإحسان للروم الكاثوليك بحلب، 2007.

- ALEP J.SAUVAGET ESSAI SUR LE DEVELOPPEMENT D.UNE GRANDE VILLE SYRIENNE. DES ORIGINES AU MILIEU DU XIX SIECLE PARIS LIBRAIRE ORIENTALISTE PAUL GUTHNFR 1941

ALEP. JEAN-CLAUDE DAVID GERARD DE GEORGE PATRIMOINE ET CIVILSATION FLAMMARION 2002

- الشرق الأوسط عشية الحداثة حلب في القرن الثامن عشر، تأليف أبراهام ماركوس، ترجمة هيثم حمام، جامعة حلب، 2006.

- تاريخ حلب، جزءان، الأسقف أردافست سورميان مطران حلب الأسبق، 1925 - 1940 ترجمة د. ألكسان كشيشيان، نشر دار النهج 2003.
- تاريخ حلب الطبيعي، للأخوين الكسندر وباتريك رسل، ترجمة خالد جيلي، دار شعاع للنشر حلب 1997.
- ALEP AUTREFOIS - AUJOURDHUI PAUL BAURIAN LIBRARIECASTOUN ALEP 1930
- أسواق المدينة في حلب، تأليف الدكتور محمود حريتاني، دار شعاع بحلب، الطبعة الثانية 2006.
- حوادث حلب اليومية 1771 - 1805 المرتاد في تاريخ حلب وبغداد، دوّنها يوسف بن ديمتري بن جرجس الخوري عبود الحلبي، حققها وقدمها فواز محمود الفواز بإشراف د. أحمد طربين، نشر دار شعاع بحلب، الطبعة الأولى 2006.
- LES RELATIONS ENTRE LES PAYS - BAS ET LA SYRIE OTTOMANE AU XV11.S HUSSEIN ELMUDARRIS ET OLIVIER SALMON 2007
- محاضرات بالفرنسية، لم تنشر للمرحوم د. أدولف بوخة 1970.
- موسوعة حلب المقارنة، تأليف الأسدي / خير الدين، سبعة مجلدات أعدها للطباعة ووضع فهارسها محمد كمال، جامعة حلب، الطبعة الأولى 1981.
- سويقة علي في حلب بالفرنسية، تأليف جان كلود دافيد وتيري غراندان ومحمود حريتاني وفواز باقر، من منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية 1998، قيد النشر.

- حلب بالفرنسية دراسة جغرافية - عمرانية - اقتصادية واجتماعية، شارل غودار مستشار بلدية حلب، 1938 قيد النشر.
- يهود دمشق، د. يوسف نعيسة، دار المعرفة، الطبعة الأولى 1988.
- الماسونية، سعيد الجزائري، مؤسسة النوري، دمشق 1986.
- دورا اوربوس (مدينة الصالحية)، محمد علي السوقي، مؤسسة طواهري وتركماني للطباعة، دمشق 1995
- حلب بالألمانية، تأليف هانز غاوبة وأوغين فيرت فسبادن 1984، ترجمة صخر علبي (قيد النشر)

ملاحظة: تبين للباحث أن لدى القنصلية الفخرية الإيطالية بحلب سجل قديم، سجلت فيه أسماء اليهود والمقيمين بحلب، وتمت مقارنة الأسماء التي وردت في البحث، بالأسماء التي وردت في السجل المذكور.

جدول المحتويات

لماذا هذا الكتاب 5

مقدمة..... 9

الفصل الأول: أصول تاريخية وعيش مشترك..... 13

الفصل الثاني: الطائفة اليهودية..... 21

الفصل الثالث: الحرية الدينية 29

الفصل الرابع: الخدمات العامة والصحة..... 45

الفصل الخامس: اليهود والسلطات الزمنية..... 53

الفصل السادس: العلاقات الخارجية 61

الفصل السابع: الصرافة والأعمال المصرفية والترجمة والجمارك..... 69

الفصل الثامن: الحياة الاقتصادية 77

الفصل التاسع: الحياة الاجتماعية 93

الفصل العاشر: الحياةالثقافية..... 123

الفصل الحادي عشر: العادات والتقاليد..... 143

الفصل الثاني عشر: الحركة الماسونية..... 157

الفصل الثالث عشر: الهجرة..... 159

فصل من تاريخ يهود حلب..... 165

خاتمة 181

كلمة أخيرة..... 183

المصادر والمراجع 185

منشورات المؤلف..... 191

منشورات المؤلف

- قلعة حلب، وزارة الثقافة - مديرية الآثار والمتاحف دمشق 1976.
- متحف التقاليد الشعبية، وزارة الثقافة - مديرية الآثار والمتاحف دمشق 1981.
- القدس أولاً، دار شعاع للنشر والعلوم حلب 1986.
- رسوم من حلب، أرميناك لاميسريان. نشر مكتبة فيوليت جبه جيان في حلب. المؤلف د. روبير جبه جيان، الشرح التاريخي د. محمود حريتاني.
- أسواق المدينة في حلب الطبعة الأولى، وزارة الثقافة دمشق 1991.
- أسواق المدينة في حلب الطبعة الثانية، دار شعاع للنشر والعلوم بحلب 2006.
- السياحة الثقافية الطبعة الأولى، دورة الاتحاد الأوروبي لتدريب مؤسسات وزارة السياحة في أقطار الوطن العربي.
- السياحة الثقافية الطبعة الثانية، دورة الاتحاد الأوروبي لتدريب مؤسسات وزارة السياحة في أقطار الوطن العربي.
- أحياء حلب القديمة، الطبعة الأولى 2005 دار شعاع للنشر والعلوم في حلب.
- أحياء حلب القديمة، الطبعة الثانية 2006 دار شعاع للنشر والعلوم في حلب.
- المدينة القديمة في حلب، وعوامل الإحياء، الطبعة الأولى 2005 دار شعاع للنشر والعلوم في حلب.

- وقف إيشير باشا (حي الجديْدة بحلب) ترجمة الدكتور محمود حريتاني الكتاب تأليف الدكتور جان كلود دافيد، الطبعة الأولى 2007 دار شعاع للنشر والعلوم في حلب.
- تاريخ اليهود في حلب، الطبعة الأولى 2008 دار شعاع للنشر والعلوم في حلب.
- حلب والسلطنة العثمانية الوقف والعمران، خلال 1510-1916 الطبعة الأولى دار شعاع للنشر والعلوم.

قيد النشر

- حلب مدينة التاريخ.
- سويقة علي بحلب.
- حلب والسلطنة العثمانية باللغات الأجنبية الفرنسية والإنكليزية والألمانية والإيطالية.
- حلب عبور نحو الشرق.
- حلب في تقرير شامل عام 1938 للمستشار المهندس في بلدية حلب السيد غودلر.
- ذكريات عبرت.
- المسكن والمخزن والمعبد والتراث في بلاد الشام.
- قناة حيلان: تأليف صبحي مظلوم، إعداد د. محمود حريتاني.
- صيانة المباني التاريخية.

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

https://www.facebook.com/books4all.net